

روايات هزلية للجد

قارون

وقصص أخرى

كوكب

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

30

د. نبيل فاروق

Looloo

www.dvd4arab.com

علاء خاص

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

تطبع والنشر والتوزيع
1424 هـ - 2003 م - 2003 م
القاهرة - مصر



قطرة حب (قصة قصيرة)

« سن الثلاثين يقترب .. »

قفز هذا الخاطر المفزع إلى رأس (سلوى) ، وهي تصفّ شعرها بعناية فائقة كعادتها ، أمام المرآة الكبيرة في حجرتها ، في ذلك الصباح المشمس الجميل ..

وفي قلق ليس له ما يبرّره ، مالت تلقى نظرة فاحصة على ملامحها ..

ما زالت فاتنة ساحرة كما هي ..

• مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

• إلى الحضارة ..

• إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

لا تجاعيد أو جلدًا داكنًا ، فى أى مكان من بشرتها ،
وبخاصة منطقة ما تحت العينين ..

كل صديقاتها يحسدنها فى غيرة ، على حسننها وجمالها ،
وشعرها الكستنائى الناعم ، وعينيها العسليتين الناعستين ..

كلهن يجمعن على أنها أكثرهن سحرًا وجاذبية وأناقة ..

ولكن العجيب أنها وحدها لم تتزوج بعد ..

جميعهن تزوجن وأنجن ، قبل أن يبلغن الثامنة والعشرين
من العمر ..

أما هى ، جميلة الجميلات ، وساحرة البنات ، ودرة الشلة ،
فما زالت كما هى ..

عذراء لم تتزوج ..

ولم ترتبط حتى بعلاقة حب قوية ..

كثيرون وقعوا فى غرام أناقتها ، وهوى جمالها ، وسحر
فتنتها ..

ولكن قلبها لم يقع فى حب أحدهم قط ..

لم تشعر أبدًا بالحب ..

أو حتى بقطرة منه ..

قطرة حب ..

ولهذا رفضت عشرات العرسان ..

هذا لأنه بدين ..

وذاك لأنه قصير ..

وآخر نحيل ..

ورابع بخيل ..

ويوم بعد يوم ، تناقص عدد المتقدمين ..

وتزايدت سنوات عمرها ..

ثم فجأة ، وجدت نفسها وحدها ..

حضرت أكثر من عشر حفلات زفاف لبنات الشلة ..

وحضرت (سبوع) المواليد أيضًا ..

وفى كل مرة كانت تفتن الكل ..

وتوقع قلبًا جديدًا ..

أو عدة قلوب ..

إلا قلبها هى ..

فبالنسبة إليه دائمًا ، كانت النتيجة : لم ينجح أحد ..

ثم فجأة ، ومن عامين كاملين ، تحولت العبارة إلى مضمون آخر ..

لم يتقدم أحد ..

والعجيب أنها لم تنتبه إلى هذا في البداية ..

ولكن أمها فعلت ..

أمها لاحظت أن أحدا لم يعد يتقدم لطلب يد ابنتها الجميلة ، وأبدت قلقها الشديد من هذا ..

ولكنها لم تبال - حينذاك - أو تهتم ..

فما زالت جميلة ، أنيقة ، وكل صديقاتها ، وحتى أزواجهن يعلنون هذا صراحة ..

وكانت هذه هي البداية ..

أزواج صديقاتها ..

إعجابهم بها ، في كل حفل أو مناسبة ، أثار غيرة صديقاتها وقتلنهن ..

ورويذا رويذا ، رحن يحفن من ارتباطهن بها ، ويقلن دعوتها أو زيارتها ..

ومع مرور الوقت ، انقطعت صلاتها بهن أو كادت ..

وبدأت تنتبه للأمر ..

لقد تجاوزت التاسعة والعشرين منذ خمسة أشهر ..

وها هي ذى فى طريقها إلى الثلاثين ..

ويا له من رقم مفزع !!

العشرينات ، فى أية مرحلة منها ، ما زالت تحمل رنة الشباب ، ورائحة النضارة ..

ولكن الثلاثينات ليست كذلك أبدا ..

صحيح أن المرأة تبلغ فيها أوج أنوثتها ونضجها ..

ولكن ليس إذا ظلت عانسًا ، بلا زواج ..

فى هذه الحالة ، تصبح الثلاثينات مرحلة انكسار ، وانحسار ، وانخفاض الفرص إلى الحد الأدنى ..

لذا ، فلا بد أن تتزوج بسرعة ..

وقبل فوات الأوان ..

ولكن كيف ؟!

لقد انقطع سبيل العرسان بغتة ، ولم تعد هناك فرصة واحدة ..

إلا بمصادفة بحتة ..

والعجيب أن هذه المصادفة قد حدثت .

كانت تعاون طفلة صغيرة على عبور الطريق ، وهى فى طريقها إلى النادى ، عندما وقع بصرها عليه ..



كان يقف هناك ، على الرصيف المقابل ، يحدّق فيها بانبهار شديد ، وينقل بصره فى دهشة وإعجاب ، بينها وبين الطفلة الفقيرة ، ذات الثياب الرثة ، وكأنه يتساءل : كيف اجتمع هذا وذاك ؟!

كيف يتعلّق الفقر بيد الحسن والجمال ، على هذا النحو ؟!

ولأوّل مرة فى حياتها ، وجدت نفسها تشعر بخجل شديد ، مع نظرات الانبهار والإعجاب فى عينيه ، ولم تكذّ تبلى الرصيف الآخر ، حتى منحت الطفلة الصغيرة جنيهاً ، وأسرعت تدلف إلى النادى فى ارتباك ..

وحاولت أن تطرد كل هذا من ذهنها ..

ولكنها لم تنجح أبداً ..

ولم تدر لماذا ؟!

إنه لا يشبهه ، ولا يمكن أن يشبه فارس الأحلام ، الذى صنعته فى خيالها ، وعاشت معه أجمل أحلامها ..

إنه أصلع ، قصير ، أسمر البشرة ، يرتدى منظاراً طبياً سميكاً ، وقميصاً لا يتفق قط مع سرواله الواسع ..

ربما هى نظرة الانبهار فى عينيه ، والتى لم تلمح مثلها منذ ما يقرب من العام !

ربما !

المهم أنه هو أيضاً لم يمنحها الفرصة للنسيان ..

لقد فوجئت به داخل النادى ، يحدجها بنفس النظرة المبهورة المسحورة ..

وفى عصبية خجلى ، غمغت :

- ما هذا بالضبط ؟!

سألته قريبتها فى حيرة :

- ماذا حدث ؟!

أشارت بطرف خفى إليه ، قائلة :

- هذا الرجل هناك ، يرمقنى بنظراته منذ ساعة كاملة .

تطلعت قريبتها إلى الرجل ، قبل أن تهتف ، بكل دهشة الدنيا :

- الدكتور (إيهاب) .. مستحيل !

سألته فى حدة :

- ما هو المستحيل ؟!

أجابت قريبتها مبهورة :

- الدكتور (إيهاب) هذا أستاذ جامعى ، فى كلية الهندسة ،

وهو رجل وقور رصين للغاية ، و ...

صمتت لحظة ، ثم مالت نحوها ، وضحكت مضيفة :

- وأعزب .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغغم :

- وما شأنى أنا ؟!

ضحكت قريبتها مرة أخرى ، وقالت :

- من نظراته هذه ، والتى لم أره يرمى بها أنثى واحدة ، طوال

الخمس سنوات الأخيرة ، أعتقد أنه شأنه هو .

ثم عادت تميل نحوها ، مستطردة فى خبث :

- وربما أصبح شأنك أيضًا .

تضرّج وجهها بخمرة الخجل والحياء ، وهى تغغم فى

أعماقها :

- ذلك الأصلع القصير ؟! مستحيل !

ولكن يبدو أن قريبتها كانت بعيدة النظر بالفعل ..

ففى اليوم التالى مباشرة ، تقدّم الدكتور (إيهاب) لطلب يدها ..

ولقد فاز بإعجاب واحترام والدها ووالدتها وشقيقها على نحو

عجيب ، حتى إنهم جميعًا راحوا يمتدحونه بشدة ، ويحثونها

على قبول مطلبه ، على الرغم من هيئته ، ومن الحلة السوداء ،

التى ارتداها على حذاء بنى اللون ..

ولقد قضت ليلتها كلها تدير الأمر على كل الوجوه ..

إنه أستاذ جامعى ، وأحواله المالية والاجتماعية مناسبة تمامًا ..

ثم إنها لم تعد تحتمل تعامل صديقاتها معها ، وكأنها لصة رجال ، تسعى دوماً لسرقة أزواجهن ، بجمالها وعذوبتها وأناقتها ..

لذا ، فقد قبلت الخطبة ..

وفى الحفل ، الذى أقيم بهذه المناسبة ، كانت تخشى أن يسخر الجميع منه ومن مظهره ، إلا أن أحداً لم يفعل ، حتى أخبرت زميلاتها ، وكأنهن جيعاً قد ارتحن لخطبتها ، حتى تنزاح منافستها عن كواهلهن ..

وبعد الخطبة مباشرة ، ذهبت السكره وجاءت الفكرة ..

هل سيمكنها أن تحتمل الدكتور (إيهاب) هذا ؟!

هل يمكنها أن ترسم فى ذهنها صورتها معاً ، فى حفل الزفاف ؟!

إنه ليس فارس أحلامها ، أو فارس أحلام أية فتاة فى الدنيا ..

هى بالذات كانت تستحق من هو أفضل ..

بكثير ..

ولقد راحت تردّد هذا لنفسها طوال الوقت ، حتى لم تعد تطيق رؤيته ..

صحيح أن دبلته ما زالت فى إصبعها ، ولكنها لا تحتمل الجلوس معه ، والتحدّث إليه ..

ولا تطيق دعاباته السمجة ، أو مجاملاته السخيفة ..

كل شيء فيه يحنقها ، ويثير توترها وسخطها ..

لن يصبح فارس أحلامها أبداً

أبداً ..

والواقع أن الرجل كان مهذباً حنوناً للغاية ..

وكان يبذل قصارى جهده لإسعادها ، وخطب ودها ..

ولكنها كانت تستقبل كل هذا بجفاء وبرود عجيبين ، وفى كل مناسبة تصرّ على تذكيره بأنها جميلة الجميلات ، وبأنه كان باستطاعتها الفوز بزواج أفضل منه بكثير ..

والعجيب أنه كان يحتمل ..

ويحتمل ..

ويحتمل ..

ومن جانبها ، كانت تفعل كل هذا بمنتهى الثقة ؛ لأنها تدرك تماماً أنه لن يترك فرصة كهذه ، ولن يتخلّى عن فاتنة مثلها ، مهما قالت أو فعلت ..

لهذا كانت الصدمة عنيفة ..

فذات ليلة ، كانا مدعوين لحضور حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتها ، عندما حضر لاصطحابها ، مرتدياً حلة بنية اللون ، وخذاء أسود ، وجورب أبيض ، ورباط عنق أزرق ..

وهنا ، وجدت نفسها تنفجر فيه ، بكل غضبها وحنقها ، صائحة :

- ما هذا الذى يرتديه؟! هل تريد أن تصبح أضحوكة الجميع؟! هل تريد أن يسخروا منى! لأننى تزوجت شخصاً لا يدرك حتى كيف يرتدى ثيابه؟! هل تحب أن ..

فوجئت به يقاطعها فجأة بحدة :

- كفى يا (سلوى) .. كفى ..

حدقت فى وجهه بمنتهى الدهشة ، وكأنها لم تتصور أبداً أنه قادر على الغضب والثورة ، فى حين تابع هو بنفس الحدة :

- لا تتحدثى معى أبداً بهذا الأسلوب .. لقد احتملت عجرفتك ، وغرورك وزهوك بنفسك طويلاً على أمل أن تنضج مشاعرك ، وتهداً انفعالاتك ، وتدركى أن الله (سبحانه وتعالى) قد جعل الزواج مودةً ورحمةً ، وليس صراعاً لإثبات الوجود وتأكيد الذات ..

كانت تشعر بارتباك شديد ، أمام ثورته المباغتة ، إلا أن عنادها وغرورها جعلها تندفع قائلة :

- أنا أيضاً احتملت ذوقك الفاسد فى ..

قاطعها بحدة أكثر :

- مسألة الذوق هذه حجة سخيفة وتافهة ، فقد كان بإمكانك توجيه النصيح لى ، أو اختيار ملابسى ، أو تعليمى الاهتمام بالمظهر ، وكنت سأستمع إليك جيداً ، وأبذل قصارى جهدى لتنفيذ هذا ، على الرغم من اقتناعى الشديد بأن الجوهر أكثر أهمية من المظهر .. ولكن لا ضرر من جمع الحسنيين .. كنت سأفعل كل ما يمكن أن يرضيك ، لو ...

بتر عبارته بغتة ، وتطلع إليها بتأثر كبير ، قبل أن يضيف بصوت متهدج :

- لو أنك حملت لى فى قلبك قطرة حب واحدة .

واتسعت عيناه ، وهى تحدق فيه بدهشة ..

لماذا اختار هذا المصطلح بالذات؟!

لماذا (قطرة حب)؟!

إنها لم تنطقه أمامه قط!!

فمن أى مكان فى كيانه انتزعه؟!

وبكل مرارة الدنيا ، تابع (إيهاب) :

- لو أن قلبك حمل قطرة واحدة من الحب تجاهى ، لأمكنك تجاوز كل هذا ، والنظر إلى أى شىء جيد فى حياتى ، أو شخصيتى ، أو تكوينى .. ولكن من الواضح أن هذه القطرة مفقودة ، حتى إننى أتساءل لماذا وافقت على خطبتى ، لو أنك تبغضيننى على هذا النحو ؟!

دفعها العناد إلى أن تقول فى حدة :

سل نفسك أولاً ، لماذا هرعت لخطبتى ؟! لقد بهرك جمالى وسحرى ، وخلبت لبك أناقتى و ...

قاطعها بدهشة كبيرة :

- جمالك وسحرك وأناقتك ؟! ما الذى جعلك تتصورين هذا ؟!

هتفت :

- هل تنكر هذا ؟! هل تنكر أنك قد اتبهرت بى .

أجابها بدهشة أكبر :

- لقد اتبهرت بالفعل ، ولكن ليس بجمالك وسحرك وأناقتك .

هتفت بعصبية شديدة :

- كاذب .

ولكنه تابع فى مرارة :

- إننى أشاهد كل هذا فى النادي ، منذ عدة سنوات .. أشاهد الجمال والسحر والأناقة فى العديديات .. وفيك بالذات ، دون أن يثير هذا اهتمامى لحظة واحدة .

حاولت أن تبدو صلبة عنيدة ، ولكنها فوجئت بصوتها يتخاذل ، وهى تسأله :

- لماذا كنت مبهوراً إذن ؟!

هز رأسه ، وهو يجيب فى تأثر شديد :

- كنت مبهوراً بعطفك وحنانك ورقة مشاعرك ، عندما عاونت طفلة فقيرة رثة الثياب ، على عبور الطريق ، على الرغم من جمالك وأناقتك .. قليلات هن من يفعلن هذا .. قليلات هن من يتمتعن بقلب ناصع البياض ، وروح بسيطة كروحك ، على الرغم مما يدفعك إليه الشيطان أحياناً ، من غرور وغطرسة ، لا تناسبان أعماقك الحقيقية ..

ولأول مرة فى حياتها ، وجدت قلبها ينتفض بين ضلوعها فى عنف ..

أحقاً ما يقول ؟!

أهذا ما بهرده منها بالفعل ؟!

العطف والحنان ، ورقة المشاعر ؟!

« لن يمكننى الاستمرار يا (سلوى) .. »

حدقت فى وجهه بذعر ، وهو يواصل :

- لن يمكننى الماضى ، ما دمت قد فشلت فى زرع قطرة حب واحدة فى قلبك .. لن يمكننى إكمال طريق ، بدأ بحاجز هائل كهذا .

وبأصابع مرتجفة ، انتزع دبلتها من إصبعه ، ووضعها فى راحتها ، وهو يضغط يدها بحنان دافق ، قائلاً ، بصوت حمل حزناً بلا حدود :

- أبلغى اعتذارى لوالدك ووالدتك وشقيقك .. أخبريهم أننى كنت شخصاً فظاً سيئاً ، ولم يمكنك الاستمرار معى .. أخبرى الجميع أيضاً أنك أنت فسخت خطبتنا ، حفاظاً على سمعتك ومظهرك ، ولكن احتفظى بالشبكة ، لأننى أنا المسئول عما حدث ، وسيظل هذا سرّاً بيننا .. أقسم أن أحداً لن يعلم به أبداً ..

وتراقصت الكلمات على شفتيه ، مع الدمع الذى ترقرق فى عينيه ، وهو يتمم :

- الوداع يا (سلوى) .. صدقيني .. لن أنساك أبداً .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، ولم تتحرك من مكاتها خطوة واحدة ، وهو يغادر المنزل فى صمت ، ويغلق الباب خلفه فى هدوء شديد ، وكأنما يخشى أن يزعجها بصوته ..

ولم تذهب إلى حفل عيد الميلاد ..

بل ولم تخبر أسرتها حتى بما حدث ..

لقد ظلت يدها مطبقة على دبلته طوال الوقت ، وكأنما تخشى أن تفتح أصابعها ، فتتفكك منها ، كما أفلت هو ..

ولأول مرة منذ عرفته ، راحت تستعيد كل أفعاله وتصرفاته معها ..

كل حبه ..

وحنانه ..

ودفنه ..

واحتماله ..

ودون أن تدري ، وجدت دموعها تغرق عينيها ..

وشعرت بقلبها يخفق ..

ويرتجف ..

ويبكي ..

وفى أعماقه انسابت تلك القطرة ..

قطرة الحب ..

ودون أن تتردد لحظة واحدة ، وعلى الرغم من أن عقارب
الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل ، طلبت رقم منزله ..
وما إن سمعت صوته ، حتى رقص قلبها بين ضلوعها ،
وارتجفت الكلمات على شفثيها الجميلتين ، وهى تقول بكل حب
ودفء وحنان الدنيا :

- (إيهاب) .. أنا آسفة ..

سمعته يهتف ، بكل دهشة وفرحة الدنيا :

- (سلوى) ؟!

انهمرت دموعها مرة أخرى ، وهى تقول بنفس الدفء
والحب والحنان :

- تعال .. أنا أريدك .

هتف بصوت حمل قدراً من السعادة ، يكفى العالم كله :

- افتحى الباب يا (سلوى) .. حتى لا أخترقه من فرط سرعتى .

أنهت المحادثة ، وقفزت إلى دولا بملابسها ؛ لتتنقى أجمل
أثوابها من أجله ..

من أجله وحده ..

وفى أعماق قلبها ، راحت تلك القطرة تتحول إلى نهر
متدفق ..

نهر من الحب ..

بلا حدود .

★ ★ ★

ولقد أفلح أسلوبى بالتأكيد ، فلقد حدقت فى وجهى بضع لحظات فى حذر قلق ، قبل أن تقول فى شىء من العصبية :

- إننى أرتدى زيًا قانونيًا ، ولا أتجاوز الـ ..

قاطعتها بنفس الصرامة :

- لا شأن لى بشرطة الآداب .

سألتنى فى حذر أكبر :

- ماذا تريد إذن ؟!

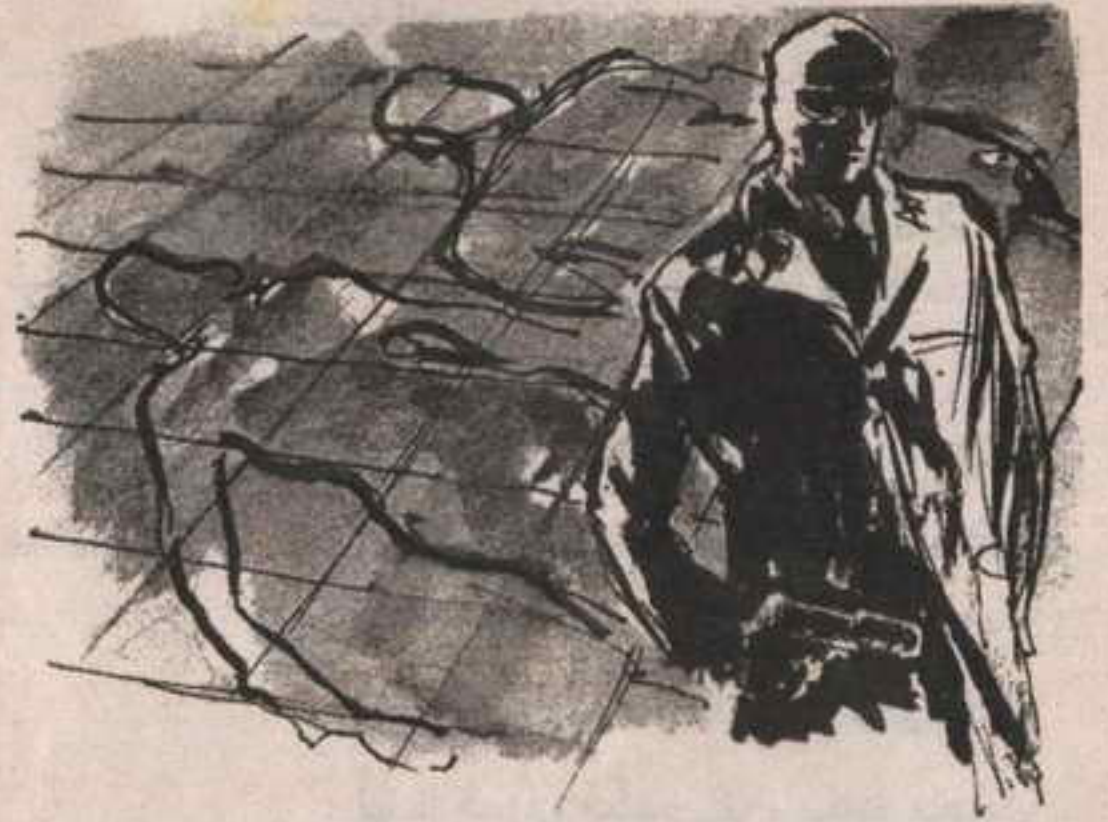
أدرت بصرى إلى ذلك الضخم الذى يرافقها ، والذى بدا عليه مزيج من الشراسة والبلاهة ، وأنا أجيب :

- أنا هنا للتحقيق فى الحادث .

شحب وجهها ، وامتنع ، وزاغت عيناها ، فى حين انعقد حاجبا الضخم ، وهو يتطلع إليها فى قلق شديد ، قبل أن يسألنى فى خشونة :

- هل يمكننى الاطلاع على هويتك الرسمية ؟!

لم يكن هذا مطلبًا مألوفًا ، فالكل يصاب بالرعب عادة ، عندما أبدأ فى التحقيق معه ، ولم يكن من التقليدى أو المعتاد ، فى (مصر) بالذات ، أن يؤكد ضابط المباحث هويته ، إلا أننى ، وعلى الرغم من هذا ، أخرجت هويتى الرسمية ، وواجهته بها ، قائلاً فى شراسة تنافس شراسته :



دليل .. (قصة قصيرة)

« (أيمن منصور) .. ضابط مباحث القسم .. »

شدت قامتى ، ومنحت صوتى كل حزم وصرامة الدنيا ، وأنا أقدم نفسى لتلك الراقصة ، ذات السنوات الثلاثين ، التى غمرت وجهها بمحتويات متجر كامل من مساحيق التجميل وأدوات الزينة ، فى محاولة لإخفاء تجعيدات مبكرة ، نشأت من الإسراف فى السهر والابتذال وتناول المشروبات الروحية ، وعوامل أخرى عديدة ، لا مجال هنا لذكرها ..

- ها هي ذى .. ألدك أية شكوك أو اعتراضات الآن ؟!

التقط الهوية ، وحدق فيها ببلاهة عجيبة ، فتجاهلته أنا تماماً ، وأنا أسأل الراقصة فى صرامة متحدية :

- سمعت أن لديك ما يفيد التحقيق .. أهذا صحيح ؟!

انكشيت فى مكاتها ، وهى تسأل :

- من أخبرك بهذا ؟!

ملت نحوها ، قائلاً فى حدة :

- أنت تعلمين من أخبرنى .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وتطلعت إلى الأبله الضخم ، وكأنما تسأله المشورة ، إلا أنه أجابها بنظرة باردة غبية ، فغمغت :

- الواقع أن موت (سميرة) جاء مفاجئاً لنا جميعاً ، فهى راقصة ناجحة ، ولها علاقات واتصالات قوية ، والكل هنا كانوا يحبونها ؛ لأنها تغمرهم بكل الحب والعطف والحنان ، و ...

قاطعتها فى ضجر صارم :

- ماذا لديك بالضبط ؟!

تلفتت حولها ، وكأنها تخشى أن يسمعها أحد ، ثم مالت نحوى ، هامسة :

- يقولون أنها كانت على علاقة سرية بأحد الضباط ، وأن ذلك الضابط هو الذى ..

لم أكن أرغب فى سماع ما تقوله ، فعدت أقاطعها بصرامة شرسة :

- قلت ماذا لديك ؟!

عادت تلتفت حولها ، وتنتطلع فى رعب إلى الضخم ، الذى أوما برأسه إيجاباً ، وهو يرمقنى بنظرة حادة ، فازدردت هى لعابها مرة أخرى ، فى صعوبة أكثر ، قبل أن تهمس بصوت شديد الخفوت ، حتى إننى ميزت كلماته فى عسر :

- أعتقد أن قاتلها قد ترك شيئاً ما خلفه .. شيئاً لم ينتبه إليه .

غمغم الضخم بصوت خشن :

- المجرم يترك دائماً دليلاً خلفه .

رمقته بنظرة صارمة ساخرة ، تطالبه بأن يطبق شفتيه ، قبل أن أقطع لسانه القذر ..

من يتصور نفسه ، هذا العجل التافه ، حتى يردد ما لا يفهم كالبيغاء ؟!

ما له هو بالأدلة وتفنيدها ؟!

الشيء الوحيد ، الذي يمكن أن يفهمه ويستوعبه أمثاله هو القوة ..

ولهذا فهم نظرتى الصارمة ، وتراجع خطوة مستسلمًا وخائفًا ، فاستدرت إلى الراقصة ، أسألتها فى خشونة :

- ما الذى تركه خلفه ؟!

مالت نحوى ، قائلة فى خفوت متوتر :

- دليل إدانته .

هى أيضًا تتحدث عن الأدلة !

ماذا أصاب الكل ؟!

لماذا يتصورون أنهم أبرع وأذكى وأفضل منا ، نحن رجال الشرطة ؟!

من المؤكد أنها تلك الروايات البوليسية الرخيصة ، التى يدمنون قراءتها ، والتى يبدو فيها رجل الشرطة وكأنه آخر من يعلم ، وآخر من يصل إلى مسرح الأحداث ، بعد أن يكون البطل الوسيم قد هزم الأشرار ، وفاز بقلب البطلة الحسناء ..

يا للسخافة !

وبمنتهى الغلظة والخشونة ، سألتها :

- وأين ذلك الدليل ؟!

تلقت حولها مرة أخرى ، بذلك الأسلوب المستفز ، ثم حلت حزامها السخيف ، وأدارت حليته دورتين ، ثم أخرجت من تجويف خفى فيه دبلة ذهبية صغيرة ..

وفى حماس عجيب ، وضعت تلك الدبلة أمام عيني ، قائلة :

- انظر .. إنها دبلة (سميرة) ، التى كانت ترتديها باستمرار ، والتى تميزها تلك الماسة فى أعلاها ، والتى تجعلها شبيهة بالخاتم .. الكل يعلم أنها هدية من صديقها الضابط .

سألتها فى حذر ، وأنا أتأمل تلك الدبلة الذهبية فى إمعان :

- وماذا فى هذا ؟!

تألقت عيناها ، وتضاعف حماسها على نحو ملحوظ ، وهى تجيب :

- لقد نقشت اسمه داخلها .

اتسعت عيناى فى دهشة ، وأنا أحقق فى الاسم المنقوش داخل الدبلة الذهبية المميزة ..

(أحمد) ..

فقط (أحمد) ..

مددت يدي لأتناول الدبلة منها ، لكنها تراجعَت في سرعة ،
هاتفَة :

- كم ستدفعون ثمنًا لها ؟!

سألتها في دهشة مستنكرة :

ثمنًا لماذا ؟!

أجابتنى في شراسة :

- للدبلة .. الدليل .. هل ستحصلون عليه هكذا ؟! مجانًا ؟!

تفجّر الغضب في أعماقي ، وأنا أصرخ في وجهها :

- هل جننت يا امرأة ؟! إنه دليل رسمي .. وثيقة حكومية ،

لا يمكنك رفض تسليمها ، أو بيعها لأحد ، ويمكنني أن ألقى القبض عليك الآن ، وألقى بك في السجن بلا رحمة ، بتهمة إعاقة سير العدالة .

بدا عليها قلق مذعور ، وهي تقول :

- عندي محام جهبذ .

قلت بشراسة مخيفة :

- القانون هو القانون .

وهتف بها الضخم في عصبية :

- أعطيه الدبلة .. هيا .

تردّدت لحظة ، ثم لم تلبث أن ناولتنى إياها ، مغمغة في حنق :

- كان ينبغي أن تدفعوا ثمنها .

أطبقت أصابعي على الدبلة الذهبية في قوة ، وقلبي يخفق في عنف ، في حين سألتني الضخم في عصبية أكثر :

- والآن .. هل حصلت على ما تبتغيه أيها الضابط ؟!

أجبتّه في خفوت :

- ليس بعد .

اتسعت عيونهما في ذعر وارتياح ، عندما سحبت مسدسي ، قبل أن تكتمل كلمتي ، وصوبته إليهما ..

وبكل هلع الدنيا ، هتفت الراقصة :

- ما هذا بالضبط ؟!

ولم أهتم بإجابة سؤالها ..

فقط ضغطت زناد مسدسي مرتين ..



وعبر كاتم الصوت ، الذي دفعت ثمنًا ضخماً ، خرجت
الرصاصتان ..

وسقطت الراقصة ..

ثم أعقبها ذلك الضخم الأبله ، الذي حدق في وجهي لحظة ،
بذهول مذعور ، ثم سقط كالبرميل الفارغ على وجهه ..

وبسرعة ، أخرجت منديلي ، ومسحت بصماتي عن المسدس ،
ثم وضعته في قبضته ..

وغادرت المكان كالصاروخ ، وأنا أقبض على الدبلة الذهبية
بكل قوتي ..

كأنت تحمل اسمي الأول فحسب .. (أحمد) ..

ولكنني كضابط مباحث ، كنت أعلم أن هذا سيكفي ..

الكل يعلم أن الراقصة (سميرة) كان لها صديق من ضباط
الشرطة ..

ودبالتها تحمل الاسم الأول له ..

وهذا طرف خيط ممتاز ..

ودليل يكفي أي ضابط مباحث ذكي ..

أنا نفسي يمكنني التوصل إلى القاتل ، خلال أسبوع واحد ..

وخاصة بعد أن يكشف الطبيب الشرعي أن (سميرة) كانت
تحمل ابني في رحمها ..

ولهذا بالذات ، اضطررت لقتلها ..

ما كان ينبغي لها أبداً أن تبلغ هذا الحد ..

لقد حذرتها ألف مرة ..

ولكن هكذا طبقتها ..

أغبياء ..

حمقى ..

وطموحون ..

أما أنا ، فمن فئة مختلفة تماماً ..
 لقد أعددت كل شيء بدقة مذهشة ، مستغلاً كل ذكائى
 وبراعتى وخبرائى ..
 وقتلت (سميرة) ..
 وبعد أن عجز الكل عن التوصل إلى شيء - أى شيء -
 فوجئت بقصة الدليل هذه ..
 (سميرة) كانت تخفى عنى الكثير ..
 ولكن كل شيء انتهى الآن ..
 من حسن حظى أن تلك الراقصة الحقيرة قد أخفت الدليل ،
 متصورة أنه بإمكانها بيعه لمن يدفع الثمن ..
 جاهلة ..
 حمقاء ..
 من حسن طالعى ..
 ولقد أعددت الأمر بمنتهى الدقة ، هذه المرة أيضاً ..
 مسدس مجهول المصدر ، وكاتم صوت قديم ، وزيارة
 لم يعلم بها مخلوق واحد ..
 فى هذه المرة لا أثر ..
 ولا دليل ..

وبكل الثقة والهدوء ، عدت إلى منزلى ، واغتسلت ، ثم
 جمعت كل ما كنت أرتديه فى كيس كبير ، حتى أتخلص منه
 تماماً ..
 الخبرة علمتنى أن قطرة دم واحدة ، يمكن أن تفسد خطة
 محكمة بأكملها ..
 والدقة الشديدة مطلوبة ، فى مثل هذا الموقف ، و ...
 وفجأة ، دق جرس الباب ..
 كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة والنصف ، بعد
 منتصف الليل ، وأنا أقيم وحدى ، ولم يعتد أحد زيارتى ، فى
 هذه الساعة المتأخرة ..
 وفى حذر ، اكتسبته مع العمل والخبرة ، سحبت مسدسى ،
 وأنا أسأل :
 - من الطارق ؟!
 أتانى صوت أعرفه وأحفظه جيداً ، يجيب :
 - إنه أنا يا (أحمد) .. افتح .
 أسرعت أفتح الباب ، وأنا أهتف فى دهشة :
 - سيادة اللواء (ناصر) .. أى

بترت عبارتي بغتة ، وأنا أهدق في مدير المباحث الجنائية ، والضباط الثلاثة المصاحبين له ، فأزاحني هو عن الطريق في صرامة ، ودلف إلى المكان ، وأشار إلى الضباط الثلاثة إشارة أعرفها جيداً بحكم عملي ، فأسرع أحدهم ينتزع مني مسدسي ، في حين وقف الثاني أمام الباب في حزم ، واندفع الثالث ليختفي داخل الشقة ، فهتفت في عصبية :

- ماذا حدث ؟!

رمقتي اللواء (ناصر) بنظرة غاضبة صارمة ، وهو يقول :
- لماذا فعلت هذا ؟! لماذا قضيت على مستقبلك بهذه البشاعة ؟!

اتسعت عيناى فى ارتياح ، وتراجعت بحدة وعنف كالمصعوق ، وأنا أهتف :
- أنا ؟!

وبسرعة البرق ، راح عقلى يستعيد كل ما حدث ..

مستحيل أن يكون هناك خطأ واحد !

أو حتى دليل واحد ..

لقد نفذت العملية بمنتهى الدقة ..

فكيف انكشف أمرى بهذه السرعة ؟!

أمن المحتمل أن يكون أحدهما قد بقى على قيد الحياة ؟!
مستحيل !

لقد أطلقت النار على رأسيهما مباشرة ..

وأقسم إننى قد شاهدت جزءاً من مخ تلك الراقصة ، قبل أن أنصرف ..

كيف انكشف أمرى إذن بهذه السرعة ؟!

كيف ؟!

« المجرم يترك خلفه حتماً دليل إدانته .. إنها قاعدة ثابتة ومؤكدة .. »

نطق اللواء (ناصر) العبارة فى صرامة ، وهو يتطلع إلى غاضباً ، فهدقت فى وجهه بصمت حائر ..

أى دليل يتحدث عنه ؟!

إننى لم أترك خلفى أى دليل !

على الأقل لا شىء يمكن أن يقودهم إلى بهذه السرعة !

« والدليل الذى تركته خلفك كان أوضح مما ينبغى » ..

تلاشت فجأة كل مشاعر الخوف من أعماقى ، مع عبارة اللواء (ناصر) الأخيرة هذه ، وحلّ محلها فضول شديد ، لمعرفة ذلك الدليل ..

روايات مصرية الجيب

كوكب
٢٠٠٠

رجل العدالة

خمسة الصباح

قصة كاملة



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
٢٨٦١٩٧ - ٢٨٦٢٢٢ - ٢٨٦٢٢٢
فلسطين

وفى ببطء ، وضع اللواء (ناصر) يده فى جيبه ، ثم
أخرجها بالدليل ..

وكدت أسقط فاقد الوعي ، وأنا أهدق فيه ..

لقد كان بالفعل دليلاً أوضح مما ينبغى ..

هويتى الرسمية ..

تلك الهوية التى أعطيتها لذلك الفحل الغبى ..

والتي نسيت أن أستعيدها منه بعد أن قتلته ..

واتهار كل شيء فى أعماقى ، وزملائى يضعون القيود
المعدنية فى معصمى ، ويقودوننى إلى الخارج ، وأحدهم يحمل
ذلك الكيس الكبير ، الذى يحوى ملابسى ، وعليها حتماً ولو
نقطة دم واحدة ..

يبدو أن ذلك الفحل الأحمق كان على حق ..

المجرم يترك خلفه حتماً دليل إدانته ..

أى دليل .

★ ★ ★

شقى رنين الهاتف سكون حجرة نوم مفتش الأمن العام (هاشم) همام (قبيل الفجر بنصف الساعة تقريباً ، وامتدت يد (هاشم) فى تكاسل ، تنتزع سماعة الهاتف ، وتمتم فى صوت لم يفارقه النعاس بعد :

- هنا منزل المفتش (هاشم) ، وهذا تسجيل و ...

قاطععه صوت زميله (يحيى) فى حدة :

- دعك من هذا يا (هاشم) .. إنه أنا (يحيى) ، وأنا أعلم أنك لا تستخدم هاتفاً مزوداً بجهاز تسجيل المحادثات ..

زفر (هاشم) فى حنق ، واعتدل جالساً على طرف فراشه ، وفرك عينيه فى تراخ ، مغمغماً :

- حسن .. ماذا هناك ؟ هل نفذ صبر المشرف العام ، يا صديقى .. أم ؟

قاطععه (يحيى) فى صوت يحمل رنة انفعال واضحة :

- لقد سرقوا (نجمة الصباح) ..

قفز الخمول والتراخى دفعة واحدة من رأس (هاشم) وقفز هو نفسه واقفاً ، وهو يهتف فى ذهول :

- سرقوا ماذا ؟

كرّر (يحيى) :

- سرقوا نجمة الصباح يا (هاشم) .. سرقوها على الرغم من كل احتياطات الأمن .. إبنى أتحدث إليك من المتحف .. لقد كشفوا أمر السرقة منذ نصف الساعة فقط ، و ..

قاطععه (هاشم) فى انفعال :

- أنا فى طريقى إليك ..

لم يدر كيف ارتدى ثيابه بكل هذه السرعة ، ولا كيف هبط إلى حيث سيارته ، وانطلق بها هكذا ..

كان الخبر مذهلاً بحق ..

إنه لم يتصور أبداً إمكانية سرقة (نجمة الصباح) تلك الماسة الضخمة ، التى تعد من أكبر قطع الماس فى العالم كله ، والتى يبلغ ثمنها عشرين مليوناً من الدولارات على الأقل ، والتى أحاطها متحف المدينة بإجراءات أمن فائقة التشدد ، فى الفترة التى تقرر عرضها فيه ، والتى تنتهى مساء الغد ..

لقد تم وضع الماسة فى قاعة خاصة ، وعلى منصة مستديرة من المرمر ، يبلغ ارتفاعها متراً واحداً ، وتحيط بها دائرة من الخلايا الضوئية ، يكفى لمس شعاع ضوئى واحد منها ، لتنطلق صفارات الإنذار فى المكان كله ، وتهبط أبواب معدنية فى سرعة فائقة فتحيل قاعة الماسة إلى سجن محكم ..

ولتلك القاعة ثلاثة أبواب ، تغلق ليلاً بحاجز من الأشعة دون الحمراء ، ولأشعة الليزر القاتلة ، التى يتم التحكم فيها عبر شبكة كمبيوتر خاصة ، بحيث يتم تحديد أى هدف يمر عبر حاجز الأشعة دون الحمراء وإمطاره بأشعة الليزر القاتلة فى جزء من الثانية .

وأرضية القاعة نفسها من نوع خاص يكفى أن تطأه قدم طفل صغير ، بعد انتهاء مواعيد العرض بالمتحف ، لإشعال جهاز إنذار خاص ، يغلق نفس الأبواب المعدنية ..

أضف إلى هذا آلات التصوير التليفزيونية ، التى تراقب الماسة ليل نهار ..

باختصار ، كانت (نجمة الصباح) فى حصن حصين ، يجعل سرقتها مستحيلة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد سرقها أحدهم ..

تضاعفت حيرة (هاشم) وهو يسترجع إجراءات الأمن مرات ومرات ، وبدا له أن الأمر أشبه بمزحة سخيفة ، وأن أحداً لم يسرق (نجمة الصباح) بالفعل ، ولكنه لم يكذب يبلغ المتحف ، ويقف داخل القاعة الحصينة ، حتى تلاشت تلك الفكرة من رأسه ، مع صوت زميله (يحيى) ، وهو يشير إلى المنصة المرمرية الخالية ، قائلاً فى حيرة :

- لقد اختفت .. كانت كل وسائل الأمن تعمل بكفاءة تامة طيلة الوقت ، ولكن (نجمة الصباح) اختفت ..

سأله (هاشم) فى اهتمام :

- كيف يا (يحيى) ؟ كيف ومتى اختفت (نجمة الصباح) ؟

أجابه (يحيى) :

- لقد استجوبت طاقم الحراسة والأمن فى المتحف ، وهو يتكون من حارسين داخل المتحف وآخرين مهمتهما مراقبة الشاشات التليفزيونية ، فى حجرة خاصة بالطابق الثانى ، ولقد أجمعوا على أن (نجمة الصباح) كانت فى موضعها ، حتى موعد تبديل الحراسة ، فى الرابعة صباحاً .

سأله هاشم :

- وماذا حدث حيذاك ؟

لوح (يحيى) بكفيه ، قائلاً :

- لقد اختفت .

سأله فى حدة :

- كيف ؟ هذا هو ما أسألك عنه !

مط (يحيى) شفتيه ، وقلب كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

- لا أحد يدري .. لقد تم تبديل طاقمى الحراسة فى دقيقة واحدة فقط ، ولم يكد الطاقم الجديد يبدأ عمله ، حتى كشف اختفاء الماسة .

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يقول :

- ولكن هذا غير منطقى ، وغير مقبول .. من المستحيل أن يتجاوز مخلوق بشرى كل حواجز الأمن ، ويسرق (نجمة الصباح) ثم يبادر بالفرار ، خلال دقيقة واحدة فقط ..

قلب (يحيى) كفيه مرة أخرى وقال :

- ولكن هذا ما أجمع عليه طاقم الحراسة .

بدت علام التفكير العميق على وجه (هاشم) ، وأعلنت عن نفسها فى صمته الطويل ، وفى تلك الحركة التقليدية ، التى يستخدمها كلما اشتدت حيرته إزاء أمر ما ، فيحك أنبيه أنفه بسبأبته فى بطء ورتابة ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، قائلاً :

- مستحيل ! هناك أمر خاطئ فى هذه السرقة يا (يحيى) .

سأله (يحيى) فى لهفة :

- ما هو ؟

هز (هاشم) رأسه ، قائلاً :

- لست أدري ، هذا ما أبحث عنه .

قال (يحيى) فى إحباط :

- ولكن الحراس الأربعة قالوا ..

قاطعه (هاشم) :

- إنه أحد الاحتمالات ، التى تملأ ذهنى .

سأله فى دهشة :

- أى احتمال هذا ؟

اشتعلت عينا (هاشم) ببريق الحزم ، وهو يقول :

- أن يكون الحراس الأربعة هم بغيتنا .. وأنها عصابة يارجل .. عصابة من أربعة من رجال الحراسة ..

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (يحيى) ، الذى حدق فى وجه (هاشم) فى دهشة ، قبل أن يهز رأسه فى عنف ، هاتفاً :

- لا يا (هاشم) .. يمكنك استبعاد هذا الاحتمال ، فنحن ننتقى رجال الحراسة ، بدقة تامة ، ثم إن توزيعهم يتم عشوائياً ، على نحو يصعب معه اتفاقهم على أمر بالغ الخطورة كهذا ..

بدا الضيق على وجه (هاشم) ، وهو يحك أنبيه أنفه بسبأبته ، مغمغماً :

- إنك تجعل الأمر أكثر صعوبة يا (يحيى) .

وعاد يدير عينيه فى المكان ، وهو يتمم فى خفوت ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :

- إذن فنحن أمام جريمة متقنة ومحكمة للغاية ، قام بها شخص من خارج المكان ، ونجح خلال دقيقة واحدة فقط فى اختراق حواجز أمن رهيبه ، يؤكد صانعوها أنه يستحيل اختراقها بأية مقاييس ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وعاد إلى التفكير العميق ، ثم رفع رأسه فى حدة ، وقال :

- قل لى ، كم رجلاً يمكنه الاقتراب من (نجمة الصباح) ، دون رقابة ؟

هزّ (يحيى) رأسه ، وهو يقول :

- لا أحد .

هتف (هاشم) فى دهشة :

- مطلقاً ؟!

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

- حسن .. أريد قائمة بكل العاملين فى المكان ، وبخاصة المشرفين على رعاية (نجمة الصباح) ، ووسائل الأمن المحيطة بها ..

جاءه صوت من خلفه ، يقول :

- إنه أمر أبسط مما تتصور .

التفت (هاشم) إلى صاحب الصوت فى هدوء ، ووقع بصره على رجل متين البنيان ، حاد النظرات ، يرتدى زى حراس أمن المتحف ، وإن أضيف إلى زيه بالذات مستطيل أحمر يزين جيب السترة الأيسر ، وقبل أن يلقي (هاشم) سؤالاً واحداً ، أسرع (يحيى) يقول :

- هذا الرجل هو أخطر مسئول فى المتحف .. أخطرهم على الإطلاق .



ابتسم ذلك الرجل ، الذى وصفه (يحيى) بأخطر مسئولى المتحف ، فى حين راح (يحيى) يستطرد :

- العقيد (مختار) .. قائد حرس المتحف .

درس (هاشم) العقيد (مختار) ، قائد حرس المتحف ، بنظرة فاحصة سريعة ، وسأله فى هدوء :

- حسن .. لماذا تعتبر الحصول على القائمة أمراً سهلاً للغاية ؟

هز العقيد (مختار) كتفيه ، وقال :

- لأن عدد المسئولين عن (نجمة الصباح) لا يتجاوز الأربعة .. أنا ، والسيد (فتحى) مدير المتحف ، و (رشوان) خبير الماس ، و (نادر) المهندس المسئول عن أجهزة الأمن ، وهو خبير بالإلكترونيات ..

ثم ضاقت عيناه ، وهو يقول بلهجة استغرافية :

- ولكن لماذا تسأل عن المسئولين بالذات ؟

أشار (هاشم) إلى القاعدة المرمية الخالية ، وهو يقول :

- لأن الأسلوب الذى اختفت به (نجمة الصباح) يعنى بالضرورة أن اختفائها قد تم بواسطة أحدكم .

حدّق (مختار) فى وجهه لحظة ، قبل أن يهتف فى غضب :
- كيف تجرؤ ؟

وبصورة غريزية ، امتدت يده نحو المسدس المعلق بحزامه ، وانتزاعه فى عنف ، وصوبه نحو (هاشم) ..

وبسرعة لم يتوقعها أحد ، انحنى (هاشم) ومال جانباً ، وأطاح بمسدس العقيد (مختار) بضربة من يده اليسرى ، ثم اعتدل فى قوة ، وهوى على فك هذا الأخير بلكمة عنيفة ..

وسقط (مختار) أرضاً ، ساخطاً ، فى حين انحنى (هاشم) يلتقط مسدسه ، وهو يقول فى هدوء :

- لم يكن ينبغى أن يبدأ حديثنا على هذا النحو ، خاصة وأننا من فريق واحد و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يُحدّق فى نقطة ما على الأرض ، فهتف (يحيى) فى لهفة :

- ماذا هناك ؟

التمعت عينا (هاشم) قائلاً :

- يبدو أننى قد وجدت أول الخيط .

وأشار إلى شئ ما على أرض القاعة ..

شئ عجيب بحق ..

تطلع الجميع فى حيرة إلى ذلك الشيء الدقيق ، الذى يمسك به
(هاشم) بين سبَابَتِهِ ، وإبهامه ، وخرج أول سؤال من بين
شفتى العقيد (مختار) وهو يقول فى توتر يغلب عليه السخط :
- ما هذا ؟

وضع (هاشم) ذلك الشيء على راحته ، ومد يده إلى العقيد
(مختار) يسأله :

- دعنى أنا ألق عليك هذا السؤال ، ما هذا الشيء ؟

تطلع العقيد (مختار) فى حيرة إلى أسطوانة دقيقة لامعة ،
تستقر فى راحة (هاشم) ، وهز رأسه ، متمتماً :

- لست أدرى .. إنه يبدو لى مجرد قرص لامع صغير ..
ثم استطرد فى اعتداد :

- ولكن لدينا من يمكنه تحديد هويته ..

سأله (هاشم) على الفور :

- هل تقصد المهندس (نادر) خبير الإلكترونيات ؟

بدا الضيق على وجه (مختار) وكأنما لم يرق له أن يستنتج
(هاشم) الجواب وقال فى حنق :

- نعم .. هذا ما أقصده .. ولقد أرسلت فى استدعاء الجميع ،
وسيكونون هنا بعد لحظات بإذن الله ..

قالها وانصرف مغادراً المكان كله فى خطوات حادة ، وكأنما
لم يعد يحتمل مجرد البقاء مع (هاشم) ، الذى لم يبد عليه
أدنى اهتمام بانصراف (مختار) ، بل راح يولى اهتمامه كله
لتلك الأسطوانة اللامعة الدقيقة فى راحته ، فسأله (يحيى) :

- ماذا تظنها ؟

هز (هاشم) كتفيه ، وقال :

- تبدو لى أشبه بأسطوانة كمبيوتر ، ولكن بربع الحجم
المعروف ، أو أقل .

وأطبق راحته على الأسطوانة ، وهو يلتفت إلى القاعدة
المرمرية الخالية ، التى كانت تستقر الماسة فوقها منذ أقل من
ساعة وسأل (يحيى) :

- قل لى : متى تم إيقاف وسائل الأمن ؟

- فور وصولنا ، فما كنا لنطأ أرض قاعة عرض (نجمة
الصباح) دون إيقاف كل وسائل الأمن ، وإلا لأصبحنا بغتة فى
سجن محكم ، وأمطرتنا أشعة الليزر القاتلة .

- هل سألت متى يتم تنظيف القاعة ؟

- بعد انصراف رواد المتحف تماماً ، يقوم بتنظيفها عاملان ،
تحت حراسة مشددة ، وتحت رقابة آلات التصوير التلفزيونية .

تطلع إليه (يحيى) لحظة قبل أن يسأله فى خفوت وانفعال :

- (هاشم) .. لقد توصلت إلى شىء ما ؟

لم يقل غموض ابتسامة (هاشم) وهو يقول :

- لا .. ليس بعد يا صديقى ..

عقد (يحيى) حاجبيه فى شك ، وبدأ له أن (هاشم) يخدعه على نحو ما ، أو يخفى عنه أمراً حيويًا ، وكاد يُصارحه بهذا بالفعل ، لولا أن ارتفع صوت العقيد (مختار) :

- لقد وصل الثلاثة الآخرون .

التفت إليه (هاشم) وهو يقول :

- عظيم .

وراح يتأمل الرجال الثلاثة بنظرة فاحصة ..

كان أحدهم نحيلًا قصيرًا ، حاد النظرات ، يبدو شديد التوتر ، والآخر فارع الطول ، يرتدى منظاراً طبيًا أنيقًا ، ويحمل وجهه وسامة جيدة ، فى حين بدا الثالث بدينًا على نحو مبالغ ، جعل (هاشم) يسأله :

- أنت مدير المتحف يا سيدى ؟

أجابه الرجل :

- لا .. المدير هو هذا النحيل القصير السيد (فتحى) ، أنا (رشوان) خبير الماس ، وهذا الطويل الوسيم هو المهندس (نادر) الخبير التكنولوجى .

غمغم (نادر) :

- تقصد خبير الإلكترونيات .

أطلق (رشوان) ضحكة ، وهو يقول :

- الفارق ليس كبيرًا ..

قال (هاشم) :

- ربما .. هذا ما سيخبرنا به المهندس (نادر) ، بعد أن يجيب عن سؤالى الأول ..

ثم فرد راحته أمام (نادر) قائلاً :

- ما هذا ؟

تطلع (نادر) إلى الأسطوانة الدقيقة فى هدوء ، وقال :

- إنها أسطوانة ليزر .

- وما عمل أسطوانة الليزر هذه ؟

- إنها تستخدم فى بعض الأنواع الحديثة من أجهزة الكمبيوتر ، حيث يتم البحث عن المعلومة منها بواسطة شعاع من الليزر .

- كيف تفسر إذن وجود أسطوانة ليذر على أرضية القاعة ؟
- ربّما سقطت من أحد زوار المعرض ..
- هذا مستحيل ، لأن القاعة يتم تنظيفها فور انصراف الزوار ، ولن يترك عاملاً النظافة أسطوانة لامعة كهذه .
- ما تفسيرك لوجودها إذن ؟
- ابتسم (هاشم) وهو يدس الأسطوانة فى جيبه قائلاً :
- ليس لدى أى تفسير ..
- ثم استطرد :

- بصفتك خبير الإلكترونيات ، والمسئول عن كل وسائل الأمن هنا .. أخبرنى : هل يمكن لأى مخلوق التسلل إلى القاعة ، وسرقة الماسة ، خلال دقيقة واحدة فقط ؟

- لا .. هذا مستحيل ، حتى ولو منحت السارق ثلاث ساعات ..
اندفع مدير المتحف يقول :

- بل هذا ممكن ، لو أنه أحسن التفكير ، فقد يمكنه هذا ..
سأله (هاشم) :

كيف يا سيد (فتحى) ؟

- يمكننى أن أريك كيف .. أعطنى تلك الأسطوانة الصغيرة
يا سيد (هاشم)

- ناوله (هاشم) الأسطوانة فى بساطة ، فاتجه بها نحو الدائرة المحيطة بقاعدة الماسة ، وقال :
- لو أن السارق وضع تلك الأسطوانة فوق إحدى الخلايا الضوئية ، فيسنعكس عليها الضوء ، ويمكنه عندئذ أن يمد يده عبر الفجوة الناشئة ، ويسرق الماسة .
- اتسعت ابتسامة (هاشم) ، وهو يلتفت إلى (نادر) ويسأله :
- ما رأيك يا سيد (نادر) ؟
- أسخف فكرة سمعتها فى حياتى ..
- احتقن وجه المدير غضباً ، فى حين استطرد (نادر) فى حسم :
- وضع الأسطوانة الصغيرة فوق إحدى الخلايا الضوئية كفيل بإطلاق أجهزة الإنذار على الفور ، لamenعها من الانطلاق ، ثم إن الوصول إليها يستلزم أن يسير السارق فوق أرضية الحجرة ، ولو أنه فعل لانطلقت أجهزة الإنذار ، وأغلقت أبواب القاعة تلقائياً ..
- قال (هاشم) بابتسامة هادئة :
- شكراً لك يا سيد (نادر) ، هذا يلغى فكرتك تماماً يا سيد (فتحى) .

والآن هلا أعدت إلى تلك الأسطوانة ؟

عقد (فتحى) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول فى عصبية :
مستحيل !

- بل ستعيدها إلى يا سيد (فتحى) ، وإلا اتهمتكم بإعاقة
سير العدالة ..

- ولكنك هنا فى أرضى أيها المفتش ، وكل من هنا يأمر
بأمرى .

- أعد الأسطوانة يا سيد (فتحى) وإلا ...

- لن تأخذها أيها المفتش ، امنعوه يا رجال ..

أسرع (يحيى) يستل مسدسه ، ولكن يد حراس المتحف
أطبقت على عنقه من الخلف ، وأحاطت قبضة الحارس الأخرى
بمعصم (يحيى) ، فى محاولة لمنعه من استخدام مسدسه ،
فى حين رفع الحراس الثلاثة الآخرون أسلحتهم فى وجه
(هاشم) ، الذى صاح فى غضب ، وهو يتجه نحو (فتحى)
بحركة حادة :

- أطع القاتون أيها المدير ..

وانقض الحراس الثلاثة على (هاشم) ..
على رجل العدالة ..

قلائل هم ، من رأوا (هاشم) يعمل ..

ونُدرة هم ، من رأوه يُقاتل ..

ولكن كل من رآه أو تعامل معه ، كان يحمل له شعوراً واحداً ..

الاحترام ..

وعندما انقض حراس المتحف الثلاثة على (هاشم) ، بأمر

من مديرهم كانوا يجهلون كل شيء عنه ، إلا أنه رجل أمن ..

وبعد دقيقة واحدة ، كانوا يعلمون عنه الكثير ..

وكان الدرس سريعاً ..

وقاسياً ..

فى نفس اللحظة التى انقضوا فيها ، تراجع (هاشم) إلى
الخلف بغتة ، ثم دار على عقبه ، وأطلق قبضته اليمنى كالقنبلة ،
فى وجه أولهم ، ومال جانباً لتلكم قبضته اليسرى أنف الثانى ،
ثم قفزت قدمه تركزل مسدس الثالث ، وقفزت القدم الأخرى
بعدها بجزء من الثانية ، وغاصت فى معدة الرجل نفسه ..

وتأوه الحارس الثالث ، وهو ينثنى متراجعاً ، ممسكاً بمعدته فى
ألم ، فى حين تجمدت الدماء فى عروق الرابع ، الذى يشل
حركة (يحيى) ، عندما رأى مسدس (هاشم) مصوباً إلى رأسه ،
وسمع (هاشم) يقول فى مزيج من غضب وصرامة هائلين :

- أتركه .

وفى لمح البصر ، تَخلى الحارس عن (يحيى) ، وتراجع رافعاً ذراعيه ، هاتفاً فى هلع :

- كنت أنفذ الأوامر فحسب .

سعل (يحيى) ، عندما تخلى الحارس عن عنقه ، واستل مسدسه على نحو غريزى ، فى حين صاح (هاشم) فى غضب ، وهو يلتفت إلى مدير المتحف ، الذى استحال وجهه إلى قطعة صفراء شاحبة :

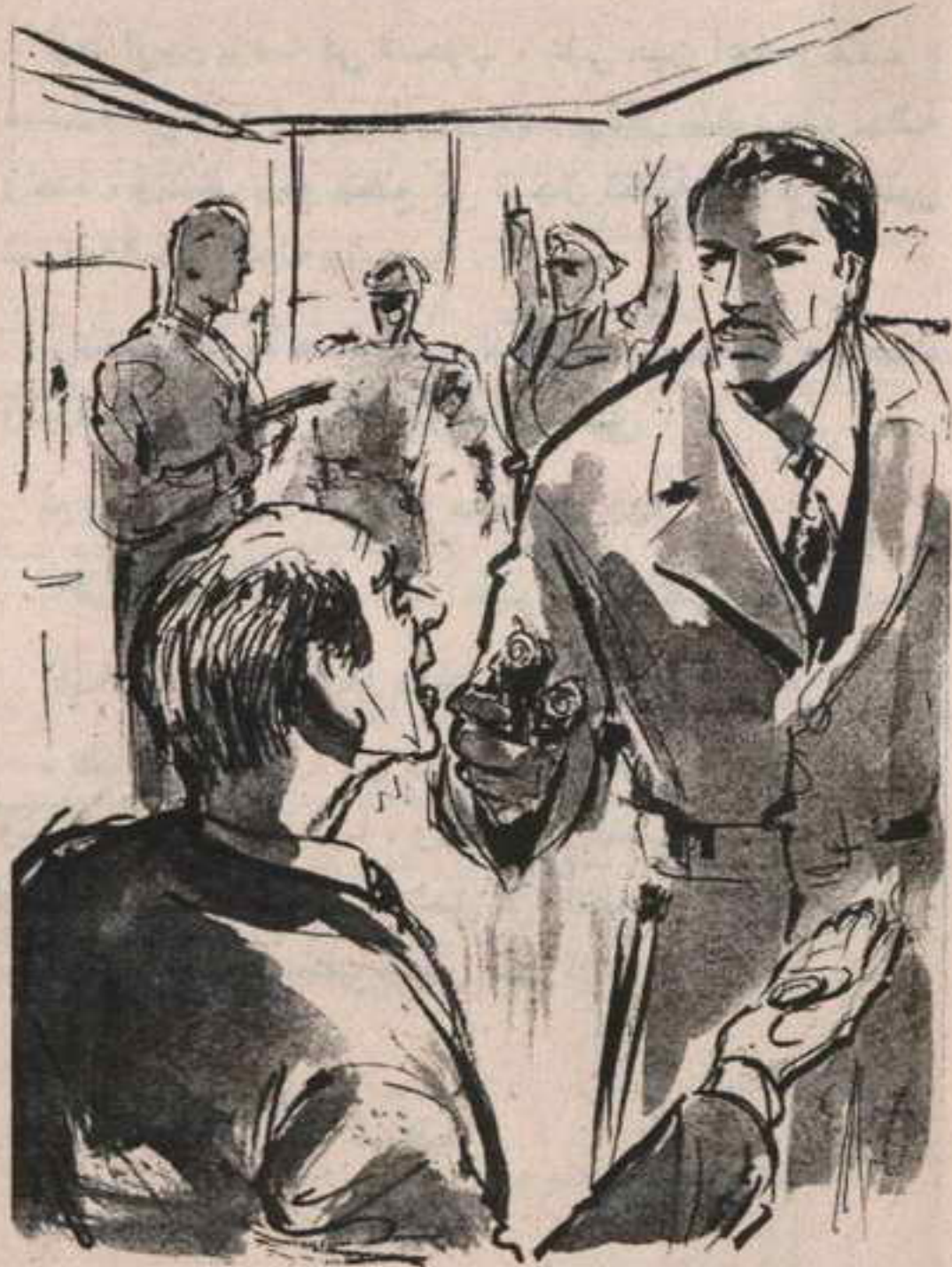
- أى عبث يجرى هنا ؟! إننا نتقاتل كما لو كنا فريقين متعارضين ، على الرغم من أننا نسعى جميعاً لهدف واحد .. أعطنى الأسطوانة .

ارتجف جسد المدير (فتحى) وهو يمد يده إليه بالأسطوانة ، متمتماً فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

- ها هى ذى .. لم أكن أنوى مهاجمتك ، ولكننى أردت إنهاء الأمر داخلياً ، فنحن متحف له سمعته ، ولو انتشر الخبر فسوف ..

قاطعه (هاشم) فى صرامة :

القانون هو القانون يا سيد (فتحى) ، لقد سرق أحدهم الماسة النادرة ، ولا بد من التوصل إليه ، ومعاقبته ، حتى تتحقق العدالة .. إننى لا أتنازل أبداً عن حق العدالة .. هل تفهم ؟



ارتجف جسد المدير (فتحى) وهو يمد يده إليه بالأسطوانة ..

أوماً الرجل برأسه فى شحوب ، على حين أعاد (هاشم) مسدسه إلى جيبه فى بساطة ، وكأنما لم يكن ثائراً منذ لحظة واحدة ، وأضاف وهو يتطلع إلى الرجال الثلاثة الآخرين ، الذين شاركوا المدير ذهوله وشحوبه :

- سننسى كل ما حدث ، فليس لدينا وقت نضيعه فى مشاحنات وصراعات جانبية .. دعونا نواصل التحقيق .

ثم وجه حديثه إلى العقيد (مختار) ، قائلاً :

- قل لى يا رئيس الأمن .. من منكم يمكنه الاقتراب من الماسة ؟

أجابه (مختار) ، وهو يحاول السيطرة على أعصابه :

- كلنا يمكنه ذلك .. من حقى أنا أن اقترب منها ، لفحص وسائل الأمن ومراجعتها ، ولكننى لم ألمسها منذ وصولها ، والسيد (فتحى) المدير له الحق فى الاطمئنان عليها فى أية لحظة ، و (نادر) يستطيع فحص أجهزة المراقبة والأمن دائماً .

سأله (هاشم) :

- وهل يتم هذا تحت المراقبة ؟

أجابه (نادر) هذه المرة :

- كل خطوة هنا تتم تحت المراقبة ، ويتم تسجيلها بآلات التصوير ، على شرائط خاصة .

سأله :

- وهل تحتفظون بهذه الشرائط دائماً ؟

هز رأسه نفياً ، وقال :

- لا .. يتم تغييرها وتسجيل الأحداث الجديدة عليها كل اثنتى عشرة ساعة ، فلا مبرر للاحتفاظ بأطنان من الشرائط المسجلة دون طائل .

صمت (هاشم) لحظات ، وكأنما يدرس الأمر ، ثم سأل (رشوان) بغتة :

- متى قمت بتلميع الماسة لآخر مرة ؟

بدا وكأن (رشوان) قد بوغت بالسؤال ، أو كأنه تلميذ مهمل ، فاجأه أستاذه بسؤال دقيق حول مقرراته الدراسية ، على حين غرة ، فلقد ارتبك (رشوان) وتلعثم ، وراح يجفف عرقاً وهمياً ، وهو يجيب :

- هذا الصباح فحسب .. أعنى صباح اليوم السابق .

سأله (هاشم) فى هدوء :

- فى أية ساعة فعلت ؟

أجابه فى توتر :

- المتحف يفتح أبوابه فى التاسعة صباحاً للجمهور ، وأنا
أعمل على العناية بالماسة وتلميعها فى الثامنة عادة ، لتتألق
أكثر .

سأله :

- وكيف يتم هذا ؟

ازدرد (رشوان) لعابه على نحو ملحوظ . وأجاب :

- إننى أرشها بسائل خاص ، ثم أحيطها بغلاف مخملى رقيق ،
وأقوم بتدليكها لدقيقة كاملة ، لإزالة كل ذرة غبار على سطحها ،
وبعدها يبدأ تشغيل مصباح التآلق ، فتبدوا الماسة مبهرة .

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يسأل :

- ما مصباح التآلق هذا ؟

أشار (نادر) إلى دائرة من المعدن ، تعلو القاعدة المرمرية
تماماً ، تراصت داخلها عدة مصابيح صغيرة ، بنفسجية اللون ،
وقال :

- هذا هو مصباح التآلق .. إنها عدة مصابيح دقيقة ، تطلق
أشعة غير مرئية ، هى مزيج من الليزر والأشعة فوق
البنفسجية ، وهذا الضوء الخاص ينعكس على سطح الماسة
على نحو أكثر تشقاً مما يفعل الضوء العادى وهذا التشق
يمنح الماسة بريقاً مضاعفاً ، وبهاءً مبهرًا .

صمت (هاشم) لحظات أخرى ، ثم سأل (رشوان) :

- هل رآك أحد وأنت تقوم بعملك هذا الصباح ؟

أجابه (رشوان) :

- أجل .. رآنى الجميع ، وتم تفتيشى أيضاً .

وابتسم (نادر) قائلاً :

- الأمور هنا تسير بدقة بالغه يا رجل العدالة .. بل هى تفوق
دقة الساعة ، فكل من يقترب من الماسة يتم تفتيشه جيداً ،
قبل دخول حجرة عرضها ، ما دامت وسائل الأمن متوقفة عن
العمل ، ونحن نوقفها حتماً ، عندما يقوم السيد (رشوان)
بتلميع الماسة ..

تطلع إليه (هاشم) لحظة فى صمت ، ثم ابتسم ابتسامة
غامضة ، وهو يقول :

- واضح من لهجتك أنك تهوى الدقة الشديدة فى كل الأمور .

هز (نادر) كتفيه ، وقال فى بساطة :

- إنه عملى .

ران الصمت تماماً على المكان ، بعد عبارة (نادر) المقتضبة ،
وتعلقت العيون كلها بـ (هاشم) ، الذى راح يحك أنبته أنفه
بسببائه فى بطء ورتابة ، فغمغم (يحيى) فى قلق :

- الأمر يبدو شديد الغموض مثيراً للحيرة .. أليس كذلك ؟

التفت إليه (هاشم) فى هدوء ، وبدأ لحظة أنه شديد الشرود ، إلا أنه لم يلبث أن ابتسم ، وقال :

- لا .. ليس تماماً .

هتف (يحيى) فى لهفة :

- هل توصلت إلى شيء ما ؟

هز كتفيه دون أن يجيب ، ودون أن تتلاشى ابتسامته ، فقال العقيد (مختار) فى سخرية عصبية :

- هيا يا (شيرلوك هولمز) .. أخبره عما توصلت إليه .

أدار (هاشم) عينيه إليه ، وبدأ هادئاً واثقاً ، وهو يقول :

- ليس بعد .

واستدار يتطلع إلى قاعدة (نجمة الصباح) المرمية لحظة ، قبل أن يسأل :

- هل تعمل وسائل الأمن الآن ؟

أجابه (نادر) فى هدوء :

- لا .. إنها تتوقف عند حدوث طارئ مفاجئ .. رجال

الحراسة يوقفونها .

هز (هاشم) رأسه متفهماً ، واتجه نحو القاعدة ، وانحنى يفحص إطاراً أبيضاً يحيط بقمتها ، ويحمل نقوشاً منتظمة ، وقال :

- أبيض هو هذا الإطار .

أجابه (مختار) فى ضيق :

- إنه القاعدة التى تركز عليها (نجمة الصباح) ، وهو ليس مجرد إطار .. إنه نوع من الـ .. الـ ..

بدا وكأنه لا يتذكر الاسم تماماً ، فقد التفت إلى (نادر) ، واستطرد فى عصبية :

- ما اسم هذا الشيء ؟

أجاب (نادر) فى بساطة :

- حافظ أتران إليكترونى .. إنه جهاز خاص ، يعمل إلكترونياً ، لتبقى (نجمة الصباح) دائماً ثابتة ، مستقرة على طرفها المدبب ..

ابتسم (هاشم) وقال :

- رائع هو متحفكم هذا .. إنه يزخر بالأجهزة الحديثة ..

بدا الضيق على وجه (يحيى) ، وهو يقول :

- إنى فأنت لم تتوصل إلى شيء هذه المرة .

التفت إليه (هاشم) وقال :

- وهل خذلتك من قبل يا صديقي ؟

بدا الانفعال واللهفة على وجه (يحيى) فى حين قال (نادر) :

- ربّما تشعر بالحيرة هذه المرة ، لأن الأمر يتعلق بأجهزة تجهل معظمها .

بدا وكأن (هاشم) سيطلق ضحكة مدوية ، وهو يقول :

- على العكس .. لقد جعل هذا الموقف أكثر طرافة .

وعقد ساعديه أمام صدره ، وعادت ملامحه إلى جديتها ، وهو يقول :

- ثم إننى أحمل لكم مفاجأة أيها السادة .

تطلّعوا إليه جميعاً فى تساؤل ، فأضاف فى حزم ، وبلهجة تحمل ثقة لا حصر لها :

- لقد عرفت من الجانى .. من سرق (نجمة الصباح) .. وكيف ..

وكانت مفاجأة بحق ..

تعلّقت العيون كلها بوجه (هاشم) ، بعد أن أدلى بهذا التصريح الخطير ، عن كشفه حل اللغز كله ..

لغز (نجمة الصباح) ..

وكانت كل هذه العيون تحمل مزيجاً عجيباً من القلق والترقب والتوتر والدهشة ، جعل (هاشم) يبتسم فى هدوء ويقول :

- لقد تمت السرقة على نحو بالغ المهارة والتعقيد ، ولكن ما من جريمة كاملة فى التاريخ كله .. لم ولا ولن توجد مثل هذه الجريمة ، فالشر لن ينتصر أبداً على الخير ، وكل مجرم يرتكب ولو ..

قاطعته العقيد (مختار) فى عصبية :

- أفصح عما لديك يا رجل .. لسنا نحتاج إلى تلك المحاضرة التقليدية ..

ابتسم (هاشم) أكثر ، وهو يقول :

- أنت على حق ، فالدنيا كلها تعلم هذه القاعدة ، دون أن يستفيد منها مجرم واحد ..

والتفت إلى حيث قاعدة الماسة ، وأضاف فى حزم :

- دعونا نسترجع الموقف كله أيها السادة .. لديكم هنا ماسة نادرة .. يبلغ ثمنها عشرين مليوناً من الدولارات ، وهو مبلغ يسيل له لعاب أى شخص يحمل فى أعماقه بذرة شر ، على الرغم من وسائل الأمن الإلكترونية ، البالغة التعقيد ، التى تحيط بها ، ولكن ..

استدار إليهم مرة أخرى ، وهو يرفع سبائبته أمام وجهه ، مردفاً فى صرامة :

- لا يوجد جهاز أمنى يستحيل اختراقه .

لانت ملامحه بفتة ، على نحو أدهشهم وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يستطرد :

- ولقد سرقت الماسة بالفعل ، وهذا يجعلنا نستبعد تماماً فكرة استحالة سرقتها ، ويدفعنا فقط للبحث عن الوسيلة والشخص ، وفى رأى أنا تأتى الوسيلة فى البداية ، فكشف كيفية السرقة يقودنا فى المعتاد إلى السارق ، والعكس أكثر تعقيداً بكثير ..

قاطعه (فتحى) المدير هذه المرة :

- سيد (هاشم) .. أرجوك .. نريد أن نعرف .

لم يبد على (هاشم) أنه يعير هذه المقاطعة اهتماماً ، فقد تابع بنفس الهدوء والابتسامة الغامضة ، وكأنما لم يسمع عبارة المدير :

- والوسيلة هنا محيرة ، فلقد تمت سرقة الماسة فى فترة وجيزة للغاية ، يستحيل خلالها أن يتسلل أى مخلوق إلى داخل المتحف ، حتى ولو طار مثل (سوبر مان) ، فستعترضه حواجز الأشعة دون الحمراء ، وقذائف الليزر ، وشبكات الكمبيوتر .

ثم تسلل الخبث إلى ابتسامته ، وهو يقول :

- إلا لو كان خبيراً فى تفادى تلك العوائق الإلكترونية ..

عقد المهندس (نادر) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

- هل تتهمنى أيها المفتش ؟

لوح (هاشم) بكفه ، قائلاً :

- من السهل أن أفعل ، ولكن حتى أنت تعجز عن بلوغ الماسة واقتناصها ، على الرغم من معرفتك بكل وسائل الأمن المحيطة بها ، فالوصول إليها يحتاج إلى دخول المتحف ، وتجاوز طاقم الحراسة أولاً .

بدا الارتياح على وجه (نادر) ، فى حين أضاف (هاشم) :

- ثم إنك لا تجيد التعامل مع الماس ، مثلما يفعل السيد (رشوان) .

هتف (رشوان) فى ذعر :

- أنا ؟! ولكننى لم ألمس الماساة منذ قمت بتلميغها هذا الصباح ، ولقد بقيت فى موضعها بعد انصرافى ، وحتى عندما اختفت ، كنت أنا فى حفل خاص ، حضره العشرات و ...

قاطعه (هاشم) فى هدوء :

- أنا واثق بأنك لم تتجاوز حواجز الأمن لسرقتها ، فحجمك وحده يمنعك من هذا ، ثم إنك لست صديقاً ورئيساً لرجال الحراسة ، حتى يمكن الاستعانة بهم ، أو ضمان سكوتهم .

هتف العقيد (مختار) فى ثورة :

- هل تشير إلى ؟

رفع (هاشم) سبابته أمام وجهه قائلاً :

- مطلقاً ، فأنت شخص عصبى بطبعك ، وأمثالك لا يصلحون للقيام بسرقة دقيقة كهذه .

قال المدير (فتحى) فى حدة :

- لم يبق سواى .

هز (هاشم) كتفيه ، وقال :

- ربما ، ولكن توترك الملحوظ هذا سيجعل سرقتك للماس أمراً واضحاً حتى للأعمى .

ابتسم (مختار) فى شماتة ، وهو يقول :

- إذن فقد فشلت فى معرفة السارق .. أو أنه ليس أحدنا على الأقل .

قال (هاشم) بابتسامته الغامضة :

- أنا لم أقل هذا .

صاح (يحيى) بغتة :

- لقد فهمت .. إنها نفس نظرية عصابة الحراس الأربعة ، التى رفضتها أنا .. إننا الآن أمام عصابة تتوافر لها كل الشروط .. أليس كذلك ؟ لقد سرق هؤلاء الأربعة الماساة ..

صاح المدير فى غضب :

- لست أسمح لك ، ولست ..

قاطعه (هاشم) فى حزم :

- لا بأس أيها السادة .. لقد مللت الأمر .

تعلقت به العيون كلها مرة أخرى ، فأضاف :

- الواقع أن الأمر يثير حيرة الجميع ، لأننا نحاول البحث عن الوسيلة التى سرقت بها الماساة ، خلال فترة إبدال الحراسة القصيرة ، ولكن الواقع أن الماساة قد سرقت قبل ذلك .. قبله بكثير ..



قال (مختار) فى توتر :

- ولكن الماسة بقيت بالفعل .. لقد رأيته بنفسي ،
و (رشوان) ينصرف ..
أجابه (هاشم) :

- إنك لم ترها يا سيد (مختار) ، وإنما رأيت صورتها ..
صورة هولوغرافية مجسمة لها ، بدت بأبعادها الثلاثة ، وكأنما
هى الماسة نفسها .

اتسعت عينا (مختار) فى ذهول ، وهو يردد :
- صورة ماذا ؟

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتف (رشوان) فى
ذعر :

- ولكن كيف ؟

ابتسم (هاشم) ، وهو يقول :

- لا تلق هذا السؤال يا سيد (رشوان) ، فأنت بالذات تعلم
كيف تم هذا .. لقد أتيت لتلميع الماسة كالمعتاد ، وقام الحراس
بتفتيشك قبل الدخول إلى حجرة عرضها ، ثم أخرجت أنت قطعة
المخمل ، ووضعتها فوق الماسة ، بحيث أخفيته تماماً
وساعدك جسمك الضخم على إخفاء المشهد عن آلات التصوير ،
وأنت تحيط الماسة بالمخمل ، ثم تضعها فى جيبك .

شحب وجه (رشوان) فى شدة ، واحتبس صوته فى حلقه
لحظة ، قبل أن يهتف مذعوراً :

- ولكن الماسة بقيت فى موضعها ، بعد أن اتصرف أنا و ..

قاطع (هاشم) :

- خطأ يا سيد (رشوان) .. إنك لم تترك الماسة فى موضعها ،
فلقد حملتها معك وأنت تغادر القاعة ، ومن المؤسف أن
الحراس لا يعملون على تفتيشك فى أثناء خروجك ، كما يفعلون
مع دخولك .

التفت (هاشم) إلى (نادر) ، وقال :

- صورة هولوغرافية أيها المهندس .. أنت تفهم تمامًا ما أتحدث عنه يا سيد (نادر) ، فالصور المجسمة هي صورة ذات ثلاثة أبعاد ، يتم عرضها بوساطة شعاع من الليزر ، يسقط فوق أسطوانة تحمل الصورة المراد عرضها ..

وأخرج الأسطوانة الدقيقة من جيبه ، مستطردًا :

- أسطوانة مثل هذه .

لم ينبس (نادر) ببنت شفة ، وإن بدا شحوبه الشديد أشبه باعتراف كامل ، و (هاشم) يستطرد :

- لقد تمت الجريمة بدقة بالغة .. بنفس الدقة التي تهواها يا (نادر) .. لقد حمل (رشوان) الماسة من موضعها في نفس اللحظة التي بدأ فيها جهاز العرض الهولوجرافى ، الذى أخفيته أنت داخل حافظ الإيزان الإلكتروني فى العمل ، راسمًا صورة خداعة لـ (نجمة الصباح) ، أوهمت الجميع بوجودها فى موضعها ، فى حين يغادر (رشوان) المتحف كله بها ، فى هدوء واطمئنان ، ويستمر عرض الصورة بوساطة مصباح ليزر خاص ، أضفته أنت إلى مصباح التآلق فوق الماسة ، ويتوهم الجميع أن (نجمة الصباح) تتألق فى موضعها ، حتى يحين موعد تبديل الحراسة ، بعد مرور أكثر من اثنتى عشرة

ساعة ، وبعد أن تم محو أشرطة التسجيل التليفزيونية ، التى يمكنها وحدها إثبات سرقة (رشوان) للماسة ، وهنا يتوقف جهاز عرض الليزر عن العمل ، ويقذف الأسطوانة التى تحمل صورة الماسة خارجه ، فتبدو الماسة وكأنها قد اختفت بغتة كالسحر .. ورفع الأسطوانة الدقيقة أمام وجهه ، مستخدمًا سيابته وإبهامه فقط ، وهو يضيف :

- وفى نفس اللحظة التى يقذف فيها الجهاز الأسطوانة خارجه ، يحو عنها الصور الهولوجرافية ، والدليل الوحيد على ما حدث .. ولكن وجود الأسطوانة كان يؤكد أنها قد جاءت من مكان ما ، بعد انتهاء عاملى النظافة من تنظيف القاعة ، ولم يكن هناك مكان يصلح لمجبتها سوى هذا الشيء الذى يعلو القاعدة المرمرية ..

ثم ابتسم ، مستطردًا فى هدوء :

- ألم أقل لك إنه ما من مجرم لا يرتكب ولو خطأ واحدًا صغيرًا ؟

قاوم (نادر) شحوبه ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج مختنق :

- إننى أنكر هذا و ...

ولكن (رشوان) إنهار بغتة ، وهو يهتف :

- سأعترف .. سأعترف بكل شيء ..

وهنا ابتسم (هاشم) فى رصانة ، وقال :

- لا فائدة يا (نادر) .. لقد انتهى كل شيء .. لقد خسرت اللعبة .. خسرتها تماماً ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية والنصف ظهراً ،
عندما ربت (يحيى) على كتف (هاشم) ، مغمغماً :

- هل استغرقت فى النوم ؟

فتح (هاشم) عينيه فى ببطء ، وقال :

- ليس بعد .. وإن كنت أتمنى هذا . قل لى : هل انتهيت من
عملك ؟

ابتسم (يحيى) ، وجلس إلى جواره ، قائلاً :

- كل شيء على ما يرام . لقد أدلى (نادر) و (رشوان)
باعتراف تفصيلي ، وأرشدنا إلى الموضع الذى أخفيا فيه الماسة
ولقد استعدناها ، والعقيد (مختار) يود أن يعتذر عما سببه لك ،
وكذلك مدير المتحف ، الذى يصر على منحك وساماً خاصاً و ...

لوح (هاشم) بكفه ، قائلاً :

- فيما بعد يا صديقى .. فيما بعد ، فلست أميل إلى حمل
الأوسمة ، وإنما إلى النوم الآن .. النوم العميق ..

راقبه (يحيى) وهو ينطلق بسيارته عائداً إلى منزله ، ثم
ابتسم فى إعجاب ، وغمغم :

- يا لك من رجل يا (هاشم) .. إنك حقاً أفضل من يحمل
هذا اللقب .. لقب (رجل العدالة) ..

★ ★ ★

(تمت)

كوكيل
٢٠٠٠

روايات مصرية الحديث

المرأة مشكلة .. صنعها الرجل

(دراسة)



ما بعد الحرية ..

ما بعد الحرية ..

القرن الحادى والعشرون أعلن عن مقدمه ، والمرأة حصلت
على أضعاف أضعاف الحرية ، التى كانت تحلم بها مع بداية
القرن العشرين ..

فهل انصلح المجتمع ؟!

المرأة فى بداية الخمسينات كانت أمًا ، وربة منزل ، تحلم
بمعاملة حسنة من أسرتها وزوجها ، وتقضى يومها كله فى
رعاية أطفالها ، وتنظيف وتنظيم بيتها ، وانتظار زوجها ، العائد
مرهقًا من عمله ، لتهرع إليه بالمياه الدافئة ، فتدعك قدميه
المتعبتين ، وتربّت على كتفه المجهد ، ثم تطعمه وترعاه ،
وتمنحه حبها ، وحناتها ، ودفأها ، وجسدها كله ، قبل أن
يغمض الاثنان عيونهما ، إعلانًا لنهاية يوم مضى ، واستعدادًا
لاستقبال يوم جديد ، مع نسيمات الصباح الأولى ..

وكان هذا يسعد الرجل ..

والمرأة أيضًا ..

أحدهما يتولى الإنفاق والشئون الخارجية ..

والآخر يرعى ويعتنى بالأمر الداخلى ..

ولو أن كلاً منهما قد قام بعمله كما ينبغي ، لاستمر هذا الأمر إلى الأبد ..

ولكن الرجل لم يكتف بحنان المرأة وحبها وجسدها ..
لقد أراد السيطرة على عقلها وأعماقها ..
وحتى روحها ..

ولأن المرأة ظلت لقرون طويلة محاصرة مقهورة ، فقد
ارتضت هذا التجاوز في استسلام ..
أو على مضض ..

ومع صمتها ، تمادى الرجل أكثر وأكثر ..

وراح يتوغل في عقلها ، وروحها ، ويفرض سيطرته حتى
على أفكارها ، وميولها ، واهتماماتها ، حتى لم يعد من حقها
أن تحب أو تكره ، أو تهتم بأى شيء في الوجود ، سوى
ما يريده زوجها ويرغبه ..

ولأن السيطرة الاقتصادية كانت في يد الرجل بالكامل ، فقد
استرخى في مقعد الحكم ، ووضع قدميه على عرش التحكم
والقوة ، وتصوّر أن الدنيا ستمضى به أبداً على هذا الوضع ..

ولكن كل شيء يتغير ..

والزمن دوماً يمضى ..

وفي حذر ، بدأت المرأة تخرج إلى المجتمع ..
وإلى العمل ..

في البداية كانت تمتهن المهن المعاونة ، كالتمريض
والسكرتارية ، أو تعمل كبائعة في متجر ، أو في شباك تذاكر ..
ولم ينتبه الرجل إلى التغيير في حينه ، وإنما تصوّر بجبروته
أنها مجرد وسيلة لزيادة الدخل ، فراح يستولى على راتبها كله ،
ولا يمنحها من عائد تعبها وشقائها سوى مصروف يد بسيط ،
يكفى نفقاتها الشخصية ، ومواصلاتها الحتمية بصعوبة ..

ولهذا لم تكتف المرأة بالعمل ..

وانطلقت تفتح مجالات التعليم أيضاً ..

وفجأة ، وجد الرجل المرأة طبيبة ، ومحامية ، ومهندسة ،
ومدرسة ..

في البداية سخر من عملها ، وتعليمها ، بحجة أن هذا
يجعلها أشبه بالرجل ، ولا ينقصها سوى الشارب ..

ولكن سخريته هذه لم تعترض طريقها ، بل كانت حافزاً أكبر
لاندفاعها في التعليم والعمل ، إلى أقصى حد يمكنها بلوغه ..

ولم تبدأ السبعينات ، حتى كانت المرأة تحتل كل المناصب
الممكنة ..

حتى منصب الوزير ..

وكتطور طبيعى للمجتمع ، بدأ الكل يتقبل عمل المرأة ، بل ويدعوها إليه ، بحجة أن وجودها فى البيت يقضى على كيانها وشخصيتها (وهو قول اختلف معه كثيراً) ..

وتضاعف دخل المرأة ، وصارت لها شخصية مالية مستقلة تماماً ، بل إنها ، وبعد سياسة الانفتاح ، صارت هى مصدر الدخل الرئيسى للمنزل ، بعد حصولها على عقد عمل فى بلاد النفط ، واصطحابها زوجها (لو أرادت) ، كمحرم فقط ، يجلس فى انتظارها بلا عمل ، حتى تعود إليه مرهقة مكدودة ، مطالبة بالماء الدافئ والحنان والحب ..

وهنا ، وأمام سطوة المال ، احنى الرجل رأسه ..

واستسلم لما لم يكن يتخيله أجداده ..

ولم يعد يجرو (فى معظم الأحيان) على التناول على المرأة ، أو سلبها راتبها وحقوقها ..

ومع بداية الثمانينات ، كان الأمر قد تطور أكثر وأكثر .

بعد أن كانت قلة من النساء تعملن ، وتحتلن مناصب رفيعة ، أصبح من النادر أن تجد امرأة لا تعمل (فى الطبقة المتوسطة على الأقل) ..

وانهالت عليها الحقوق من كل صوب ..
وأصبحت المرأة سيّدة أعمال ، ووزير ، وعضو بمجلس الشعب والشورى ..

ومع المكاسب والحقوق ، ومع استمرار تغنت معظم الرجال فى الوقت ذاته ، اندفعت النساء إلى العمل أكثر وأكثر ..

ولأن كل تطرف له ضحاياه ، فقد كانت المرأة هى ضحية تطرف وتغنت الرجل فى البداية ، ولقرون طويلة ..

ثم أصبح البيت والأولاد هم ضحية تطرف المرأة فى النهاية ..
صحيح أن كل امرأة عاملة تصرّ على أنها تستطيع التوفيق جيداً جداً ، بين عملها وبيتها ، وتربية أولادها ..

ولكن ما نراه حولنا لا يمنحنا أدنى شعور بهذا ؟

هل يبدو لك المجتمع من حولك مجتمعاً سليماً صحيحاً ، يحلو لك العيش فيه ، ويطيب لك حتى السير فى طرقاته ؟!

هل يبدو لك الجيل الناتج من أسر يعمل فيها الوالدان ، جيلاً متماسكاً ، قوياً ، تلقى تربية مثالية ، فى قواعد الأخلاق ، والذوق ، والعقيدة ؟!

المرأة ليست المسئول رقم واحد بالطبع ، عن كل ما أصاب المجتمع من تفسخ وتفكك ، وفساد وانحلال ، وبعد كبير عن القيم والدين والذوق ..

ولكنها بالطبع لبنة رئيسية في تكوينه ..

فقدیمًا قالوا : « الأم مدرسة ، إذا أعددتها ، أعددت شعبًا طيب الأعراق » ..

ولقد اشغلت المرأة بإعداد نفسها ماليًا واقتصاديًا ..

وبالحصول على أعلى الشهادات وأرفع المناصب ..

وبالفوز بالعشرات من الحقوق والامتيازات ..

ولكنها نسيت أن تمنح روحها بعض الوقت ..

ونسى الرجل أيضًا أن دوره مازال هو قيادة الأسرة ..

لقد انتزعت منه المرأة عشرات الحقوق ، ووقف الرجل ساكنًا صامتًا سلبيًا ، يراقبها وهي تصنع لنفسها شخصية أخرى ، وتعيد تشكيل عقلها وروحها وكيانها ..

وفجأة ، أدرك الرجل ، بعد فوات الأوان ، أنه قد فقد السيطرة على الأمور تمامًا ..

المرأة تحررت ، ولم يعد لها ضابط أو رابط ، واتخذت اتجاهًا معاكسًا تمامًا ، لذلك الذي سارت فيه جدتها ..

لم تعد تخضع للرجل ..

بل صارت تنافسه ..

وتحاربه ..

وتقاتله بشراسة ليس لها مثيل ..

وبعد أن كان الرجل متهمًا بالتعصب الجنسي ضد المرأة ، أصبحت المرأة هي رمز للتعصب الجنسي ضد الرجل ..

والغريب أن معظم النساء تصورن أن كياتهن سينهار ، لو أنهن أطعن أزواجهن ، اللذين أمر الله (سبحانه وتعالى) بطاعتهم ، ولو خضعن لرأيهم ، مهما كان صائبًا أو خاطئًا ، وأن كرامتهن ستسحق بالأقدام ، لو أولين البيت والزوج اهتمامًا وعناية ..

ولأنه في أغرب الظواهر ، في عالمنا العربي ، أن التغيرات السيئة تجد سبيلًا واسعًا للانتشار والتوغل في مجتمعاتنا ، على عكس التغيرات الحسنة ، فقد انتشرت ظاهرة التعنت ضد الرجال ، والذكور عامة ، انتشار النار في الهشيم ، وصار من العسير ، والعسير جدًا ، أن تجد فتاة بسيطة ، هادئة ، ترعى أئوئتها ، بأكثر مما ترعى عنادها ..

وعلى الجانب الآخر من المجتمع نفسه ، تجد فئة من النساء أكثر خضوعًا واستسلامًا من جداتهن (في معظم الطبقات الشعبية) ، كنوع من الحفاظ على التقاليد القديمة ، أو خضوعًا لتعاليم الإسلام (من وجهة نظرهن) ..

وكل هذا يعنى أنه ، حتى بعد الحرية ، لم ينضبط المجتمع ..

فالحرية ليست هي العامل المطلوب ، لتحقيق سلامة وأمن المجتمع ، وتلاحم أفراد وفئاته ..

والانطلاق ليس الوسيلة الصحيحة ، للفوز بأمان اجتماعي ، أو استقرار سياسي أو اقتصادي ..

الحرية وحدها لا يمكن أن تحقق شيئاً ، ما دام أحد طرفي المجتمع ما زال يتعامل مع الطرف الآخر باعتباره خصماً أو عدواً ، ينبغي قهره وإخضاعه ، وتحديد مساره وأفكاره وصلاحياته ..

أيما كان الطرف الأول ، والثاني ..

إن ما نحتاج إليه فعلاً ، وما يمكن أن نقودنا إليه هذه الدراسة ، هو التوازن ، الذي دعانا إليه الدين ، منذ عدة قرون .. التوازن في الحقوق والواجبات ، بين كل أطراف المجتمع .. المرأة لن تسعد أبداً ، وهي تعتبر أن محاربة الرجل جزء من أسباب وجودها في هذه الحياة .

والرجل لن يسعد ، وهو يقاتل ويصارع رفيقة عمره ، بدلاً من أن يصبح زواجهما مودة ورحمة كما ينبغي ..

أية سفينة ، لا يمكن أن تمضي في أي بحر ، لو أن كل من بها يتقاتلون ويتصارعون ، ويتنافسون ..

دعونا نحاول تغيير صيغة المجتمع ..

مجرد محاولة ..

دعونا نحاول أن ننسى ذلك القتال المستمر ، ونسعى لإنشاء علاقة جديدة ، تقوم على الصداقة والمودة ..

والحب ..

علاقة تحقق التوازن بين الجنسين ، ويعترف كل طرف فيها بحقوق الطرف الآخر ، وبواجباته تجاهه ..

علاقة تقوم ، كما أمرنا الله (سبحانه وتعالى) على المودة والرحمة .

ودعونا ننسى كل الخلافات القديمة ..

وكل الرواسب ..

والتعنتات ..

والمشكلات ..

والصراعات ..

وربما لو فعلنا ، لأمكننا أن ننسى يوماً أن المرأة مشكلة ..

صنعها الرجل .

٣ . نبيل فاروق

١٤ ديسمبر ١٩٩٩

حريتي ..

وحرية الآخرين ..

وهنا تكمن عظمة الإحساس الحقيقي بالحرية ..

وهذا يختلف تمامًا عن الفوضى ، التي نتصورها أحيانًا حرية ،
فنفعل كل ما يروق لنا ، دون ضابط أو رابط ، حتى ولو آذينا
شاعر الآخرين ، ونسفنا حريتهم من أساسها ..

أما الإيمان الحقيقي بالحرية ، فهو إحساس كبير بالمتعة
والمسئولية ..

مسئوليتنا تجاه أنفسنا ..

وتجاه الآخرين ..

فحرية المرء تنتهى ، عندما تبدأ حدود حرية الآخرين ..

وعندما تعترضنا حدود العقيدة ، والأخلاقيات ، والمجتمع ..

ومع انتقالى وأسرتى ، من (طنطا) إلى (القاهرة) ، كان أهم
ما سعى إليه هو الحصول على شقة إضافية ، كمكتب خاص لى ،
يمكننى فيه الحصول على القدر اللازم من الاستقلالية والحرية ،
للتفكير والإبداع ..

وكما منحنى أستاذى الأستاذ (حمدى مصطفى) مسكنًا ،
فوجئت به يمنحنى مكتبًا أيضًا .



حريتي .. (خواطر)

الحرية ..

يا لها من كلمة رائعة ، لها فى أعماقى وقع لا ينافسها وقع
أية كلمة أخرى ..

إنها حبي الأول ..

وعشقى ..

وهيامى ..

والهدف ، الذى أقاتل من أجله ، منذ وعت عيناي الدنيا ..

فأنا أومن جدًا بالحرية ..

ولا أحد يمكنه أن يتصور مدى سعادتي بهذا الأمر ..

فبدون الحرية ، لا يمكنني أن أفكر ..

أو أبدع ..

أو أحصل حتى على الاسترخاء الكافي ، للدخول في الحالة اللازمة لوضع فكرة جديدة ..

أو قصة جديدة ..

بل وبدونه لن أجد مكاناً كافياً لمكتبتي الضخمة ، التي تجاوزت العشرة آلاف كتاب ، ولكل مستلزمات هواياتي المتعددة ، التي تنعش روحي وأفكاري ، في أوقات فراغي ، وبين ساعات العمل ..

وكتداع طبيعي ، أصبح المكتب هو المكان الذي أستقبل فيه كل الأصدقاء ، والزملاء ، والضيوف ، والقراء أيضاً ، باعتبار أن المنزل بالنسبة لي دائماً مكان مقدس ، للهدوء والراحة ، لا ينبغي أن يعكر العمل صفوه قط ..

ولكن ، ومع مرور الوقت ، فوجئت باقتحامات عديدة لحريتي ، على نحو مستفز ..

زيارات مباغتة ، دون إنذار أو موعد سابق ..

أو زيارات طويلة للغاية ، وكأنا في مقهى عام ، ولسنا في مكتب للعمل والإنتاج ..

بل ويتصل الأمر أيضاً إلى إعطاء مواعيد للآخرين في مكتبي ، وكأنه ناد اجتماعي ترفيهي للكافة ..

والمرهق أن الكل لا يكتفى بالجلوس والحديث ..

إنهم يبدأون فوراً في العبث بمحتويات المكتب ، من الكتب والمخطوطات ، والتحف ، وحتى الأوراق الشخصية ، بحجة أن كل شيء فيه متميز ومختلف ..

ولكن أكثر ما يزعجني بحق ، هو نظرية التتبع ..

فقد أستقبل صديقاً أو زميلاً أو ضيفاً ، أو حتى قارئاً ، في حجرة مكتبي ، في بداية المكان ، ثم أنهض لإعداد مشروب ساخن ، أو إحضار آخر بارد من المطبخ مثلاً ، فأجده فجأة إلى جوارى ، يعرض معاونته ..

وهذا يزعجني بشدة ..

وربما أكثر مما يمكنكم تصوره ..

بكثير ..

فالتتبع هنا لا يقتصر على مكان واحد ، وإنما يفاجئني الشخص بالتجوال في المكان ، وكأنه حديقة عامة ، على الرغم من أنه يحوى كل أشيائي ، التي قد لا أرغب في أن يطلع عليها أو يراها أحد ..

وما يفعلونه ينتهك حریتی إلى أقصى حد ..
ويؤذي مشاعری بشدة ..

فالمفترض ، طبقاً لما تقوله التقاليد ، والأخلاقيات ، وقواعد
الذوق ، وتعاليم الدين أيضاً ، ألا ينهض الضيف من مكانه ،
أو يجول في مكان لا يخصه ، إلا بناءً على إذن من صاحبه ..
وإذا قيل له أن يرجع ، فعليه أن يرجع فوراً ..
دون اعتراض ..

أو غضب ..

ولكن أحداً لا يبالي بهذا ..

أو حتى ينتبه إليه ..

وذات مرة ، راودتني فكرة أن أضع لافتة في كل مكان ، تطلب
من الجالس ألا يتبعني في مكتبي ، حتى ولو كنت وحيداً ..
ولكنني استحييت أن أفعل ..

ثم إنه ليس من حق الآخرين إفساد ذوق المكان ، حتى
أجبرهم على الالتزام بقاعدة أخلاقية بسيطة ..

والأمر ما زال مستمراً ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

بل وربما كان هو السبب الرئيسي لكتابتها ..

وهذا أيضاً استمرار للقتال ، من أجل محبوبتي ومعشوقتي
الأولى في هذا الكون ..

حریتی .

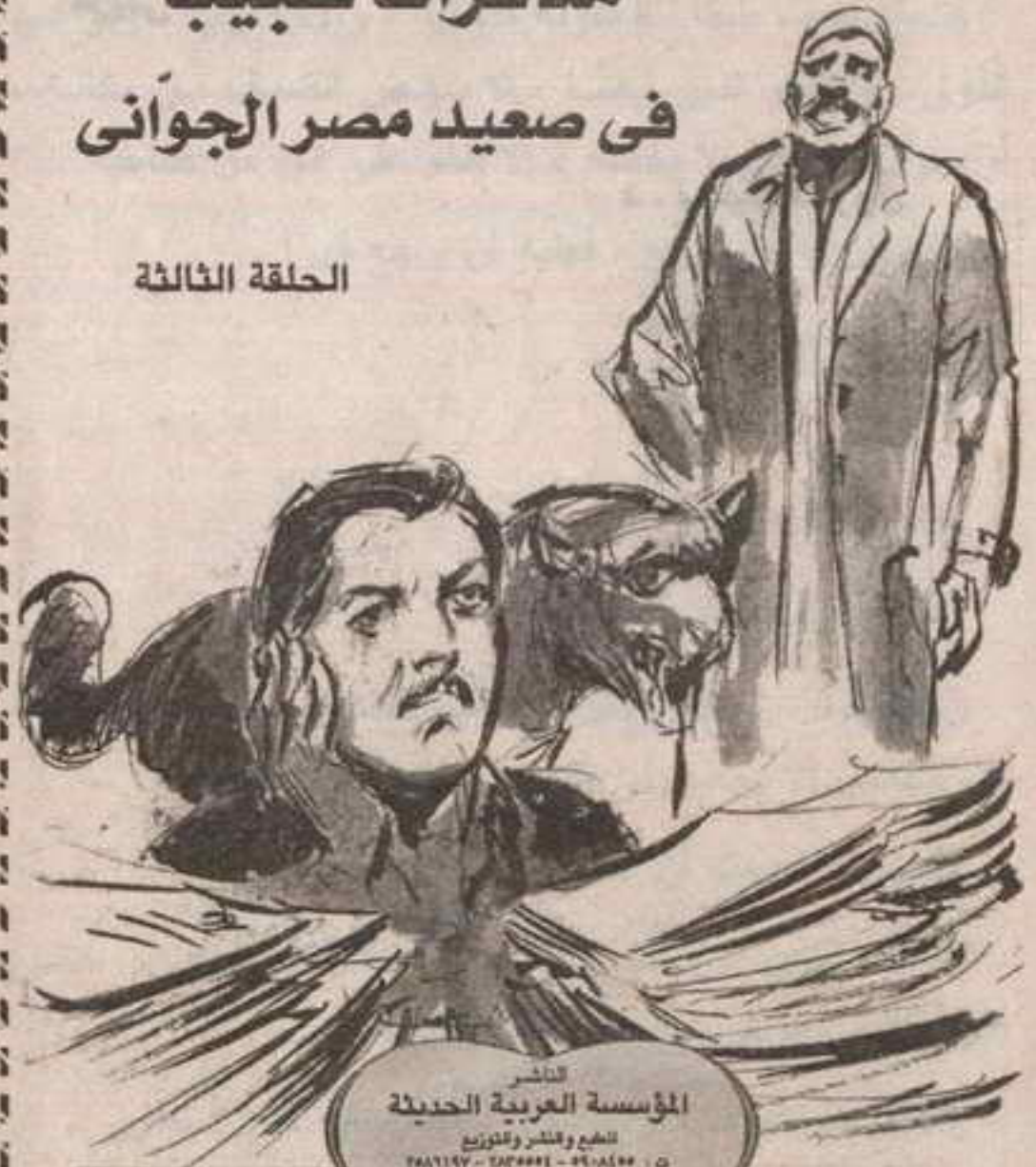
د . نبيل فاروق

حكاية
٢٠٠٠

روايات مصرية الحبيب

مذكرات طبيب في صعيد مصر الجوانى

الحلقة الثالثة



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطب والنشر والتوزيع
٢٨٨١١٧ - ٢٨٨٨٨٨ - ٢٨٨٨٨٨
القاهرة - مصر

٢ - حجاج ..

أخيراً انزاحت الغمة ، ورحل الدكتور (محمد) ، عائداً إلى
(الإسكندرية) ، وأصبحت أنا طبيب الوحدة الأول ، ومديرها ..
ودعوني أعترف لكم (دون تعذيب أو إهانات) ، بأن للمناصب
بريقها ، ففي مثل عمري آنذاك ، الذى لم يبلغ الخامسة والعشرين
بعد ، كان من المبهر أن يحمل المرء لقب (البية المدير) ،
وأن يعامله الكل ، فى رواجه وغدوه ، بناء على اللقب
والمنصب وبريقهما ..

ولكن نظرة واحدة إلى لائحة العمل ، جعلتني أصاب بهلع
شديد ، وبعقدة دائمة من كلمة (المدير) هذه ، وربما حتى
يومنا هذا ..

فطبقاً لموقعي ، ونظراً لأننى الطبيب الوحيد ، فى دائرة نصف
قطرها سبعة جبال ونصف ، كنت أتولى (رسمياً) ، منصب مدير
الوحدة الصحية ، ومدير الطب الوقائي ، ومدير المعامل ، ومدير
الصيدلية ، ومدير مكتب الصحة ، ومدير قسم الطب الشرعى ،
ومدير المخازن ، ومدير المبيعات ، ومدير المشتريات ، و .. و ..
ويسعدنى هنا أن أتقدم بالشكر لوزارة الصحة (العبقريّة) ؛
لأنها كانت رحيمة بنا للغاية ، فلم تفرض علينا منصب الحانوتى ،
أو مدير التموين ، أو حتى حامل الكوز (شوف الذوق !) ..

ومنذ اليوم الأول ، بدأ (حجاج) تحركاته ..

و (حجاج) هذا لمن نسى ، هو جلالة كاتب الوحدة ، بكل جبروته وهيمنته ، وسيطرته الكاملة على عقول أهل القرية ، من صغيرهم إلى كبيرهم ..

ففى اليوم الأول للعمل ، فوجئت بالسيد (حجاج) يحمل إلى كومة هائلة من الأوراق والملفات والدفاتر ، وكلها تحتاج إلى توقيعى ، باعتبارى مدير كل شىء فى الوحدة الصحية ..

وكان الموقف مثيراً للشك بالتأكيد ، وخاصة لو أخبرتكم ببعض أساليب التحايل ، التى يميل إليها (حجاج) ويهواها ، ويعتبرها جزءاً من تكوينه وشخصيته ، وهواية لا تُلذ الحياة بدونها ..

لذا ، فقد رفضت تماماً التوقيع على أية ورقة ، قبل أن أقرأها وأدرسها جيداً ، وأعلم السبب الذى منع صديقى وزميلى الحبيب العزيز السابق ، بكل سخائه وكرمه الحاتمى ، من التوقيع عليها فى حياته .. احم أقصد فى أيام احتلاله للمنصب ..

ولم يرق هذا للسيد (حجاج) بالطبع مما جعله يقضى اليوم كله ، فى محاولة لإقناعى بالتوقيع على كل الأوراق ، مع وعد منه بشرح مضمونها فيما بعد ، وهو يحضر لى العيش والحلاوة فى سجن (قنا) العمومى ، عندما يصبح هناك الكثير من وقت الفراغ ، إثر الانتهاء من الهواية اليومية لتكسير الأحجار فى الجبل ..

وكان على أحدا أن ينهار ويعترف ، ويستسلم للآخر ، ويقبل بوجهة نظره .. ولو أنكم تعاملتم يوماً مع (حجاج) ؛ لأنركم أنه من الممتع أن يتسلى المرء بتكسير الأحجار ، على أن يضطر للاستماع إلى إلحاحه المستمر ، الذى يتوقف لحظة (باستثناء ساعات النوم ، والد .. احم) ..

ولكن العجيب أننى احتملت ، وواصلت إصرارى ، وامتنعت عن الشراب والطعام والد .. حتى انهار (حجاج) واعترف بأنها أول مرة يخسر فيها حرب الغلاسة هذه ..

وأخذت الأوراق كلها لمراجعتها ، ورفضت إعادتها للبك الكاتب ، الذى أصر على استعادتها ، ما دمت أرفض التوقيع عليها ..

وكانت ليلة ليلاء ..

وعندما أشرق الصباح ، أدركت بكل أسف ، أننى قد ظلمت المسكين (حجاج) ..

إنه لم يكن نصاباً محتالاً كما تصوّرت ..

بل كان شيخ منصر (والمنصر هو العصابة الكبيرة) ..

فكل ورقة قدمها لى ، كانت تحوى تحايلاً ، أو تزيفاً ، أو بيانات خاطئة ، أو - وهذا هو الأرجح - قراراً باستقالتي ، أو اعترافاً بقتل (مارلين مونرو) ، و (جون كيندى) ، وحتى خط الصعيد ..

وفى اليوم التالى ، واجهته بكل هذا ، وأنا أنتظر منه أن ينهار مرة أخرى ، ويعترف اعترافاً تفصيلياً ، ولكننى فوجئت به يهز رأسه فى لا مبالاة ، ويؤكد فى بساطة أنه لم ينتبه إلى هذه الأخطاء البسيطة غير المقصودة ، ثم أمسك الأوراق كلها ، ومزقها ، وعاد إلى مكتبه ، وكأن شيئاً لم يكن ، وبراءة الذئاب فى عينيه ..

وهذا ما كان من أمر السيد (حجاج) ..

أما أهل القرية ، فقد راحت شهادتهم وأخلاقياتهم الطيبة تظهر ، فور رحيل الدكتور (محمد) ، واحتلالى منصبه ، ففى كل مجلس ، كانت الشتائم تنهال عليه من كل صوب ، ولا حديث للكل إلا عن نذالته ، وطمعه ، وبخله ..

ووجدت نفسى أنكمش فى مقعدى صامتاً ، وأتابع أحاديثهم فى زعر ..

صحيح أننى أتفق معهم فى تلك الصفات الحسنة ، التى أضفوها على الزميل العزيز ، إلا أن أسلوبهم هذا جعلنى أفقد الثقة بهم وبمشاعرهم ، خاصة وأن معظمهم كان كثير الثناء والمديح للدكتور (محمد) ، أيام عمله فى البلاد ..

بل وكان أكثر المتحمسين لسبه ولعن أيامه ، هو الشخص نفسه ، الذى قدمه لى الدكتور (محمد) ، باعتباره أفضل وأقرب أصدقائه فى (أبو دياب شرق) كلها ..

وفى خيالى ، رحت أتصور نفس المجلس ، وقد تم استبدالى فيه بالطبيب الذى سيأتى من بعدى ، والكل يصفنى بالنذالة والطمع والبخل ، ويلعن أيام عملى السوداء ..

ومن هنا ، اتخذت قراراً بعدم السماح بالإساءة إلى سلفى قط ، والتصدى لهذا بكل الحزم والذوق والإصرار ، حتى يدرك الكل أنها ليست الوسيلة المثلى للتقرب إلى ، أو كسب ودى وصادقتى ..

والواقع أنه كان لدى سبب آخر خفى وخبيث ، لمنع الحديث عن الدكتور (محمد) ؛ إذ إن مجرد ذكر اسمه كان يعيد إلى ذهنى ذكريات جميلة ممتعة ، تكفى لأن تهاجمنى كل كوابيس الدنيا ، عندما يأتى المساء ..

وللسبب نفسه ، دعونا نتوقف عن الحديث عنه هنا .. وهناك ، وفى أى مكان من العالم الحر ، وغير الحر ، والمحلى والمستورد ، وحتى عالم المرأة ..

المهم أننى قد أصبحت مدير الـ .. والـ .. والـ .. وصرت المسئول عن كل شىء فى القرية ، وكل الزمام التابع لها ..

وكان هذا يضيف إلى عبئاً جديداً ، إذ إننى ، فى أيام العز ، كنت أعمل لنصف الشهر فقط (على نحو غير رسمى) ، ويتولى زميلى النصف الآخر ، أما الآن ، وبعد أن صرت وحيداً منفرداً ، كان من الطبيعى أن أعمل طوال الوقت ، وأن أضطر لأكمل (الويكة) والملوخية طوال الشهر ، باستثناء ستة أيام كل شهرين ، وهى كل الإجازة المتاحة لبؤساء الأطباء أمثالى ، وخاصة أولئك الذين يقيمون ويعملون فى منتجعات جبلية فاخرة ، مثل (أبودياب ريزورت) ..

وفى ببطء وحذر ، رحلت أستكشف حدود منصبى .. احم .. أقصد مناصبى الجديدة ، وأراجع ما درسناه عن الإجراءات والإداريات ، ما دمت سأقضى فترة طويلة بصحبة الرجل الذئب .. أعنى السيد (حجاج) ، الذى يحفظ كل هذا ، بحكم خبراته الطويلة ، التى تزيد على خمسة عشر عاماً ، معظمها فى الوحدة نفسها ..

ومع مرور الوقت ، أدرك الذئب هذا ، ولأنه يهوى اللعبة ويعشقها ، فقد راق له ما أفعله ، وانتعش لإصرارى على القتال ، وراح يسن أنيابه ، ويبرز مخالبه ، استعداداً للجولة الأولى ، باعتبارى ، مهما فعلت ، مجرد تلميذ فى مدرسة الذئاب الابتدائية المشتركة ، التى يعتبر نفسه ناظرها ومديرها ، ووزير التربية والاحتياط فيها أيضاً ..

وكوسيلة لإثبات تفوقه وبراعته ، أبدى استيائه ذات يوم من الثلاثية القديمة فى مسكنى ، وأخذ يقتلنى بطلب أخرى جديدة ، من الإدارة الصحية ، باعتبار أن هذا حقى كطبيب مقيم ، وراح لثلاثة أيام متوالية يتغزل فى الثلاثيات الجديدة ، التى وصلت إلى مديريات الشئون الصحية بالمحافظة ، والتى تعمل بالكهرباء ، والغاز ، والبطارية ، وحتى بالفحم ، لو اقتضى الأمر ..

وصدقته أنا (توقف عن الضحك .. أرجوك) ..

وبكل الحماس ، أرسلت طلباً رسمياً للإدارة الصحية ، لتزويدنا بثلاثية جديدة ، وحمل (حجاج) الطلب بحماس أكثر إلى (قنا) ، وعاد ليؤكد لى أن كل شيء تمام ، وأنه قد عاين الثلاثية الجديدة بنفسه ، ووجدها رائعة ، وأنه يمكننا أن نصنع بوساطتها كل ما لذ وطاب ، من الآيس كريم ، بكل أنواعه المعروفة فى الصعيد .. الذرة ، والبطاطا ، والطين ..

وانتظرت فى شغف وصول الثلاثية الجديدة ..

وانتظرت ..

وانتظرت ..

وأخيراً ، وبعد أن فاض بى الكيل ، سألت (حجاج) بك عن الثلاثية الجديدة ، التى تعمل بوسائل متعددة ، خاصة وأن الثلاثية القديمة قد صارت تعمل أيضاً بوسائل متعددة ، فى الآونة الأخيرة ، فهى تعمل بصعوبة ، وبالعافية ، وبدعاء الوالدين ..

وهنا رأيت ابتسامة الذئب ، التى يتحدثون عنها فى الروايات ..

ابتسامة كبيرة ، واسعة ، ظافرة ، شامتة ..

وفى هدوء ، هبط (حجاج) إلى مكتبه ، وعاد حاملاً دفتر المخازن الضخم ، وقدمه إلى ، قائلاً فى حزم :

- قم بعمل جرد للمخازن ، واتهمنى بالاختلاس .

لم أفهم ما يقصده بالضبط ، فسألته فى حيرة وحذر :

- أفعل ماذا ؟!

هزّ كتفيه ، اللذين يستند إليهما رأسه ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

- أنت مدير المخازن ، وأنا أمين المخازن ، ولقد تسلمت الثلاجة الجديدة بالفعل ، ونقلتها فوراً إلى منزلى فى (الأقصر) ، والمطلوب منك ، حتى تحمى نفسك ، وتخلّى مسئوليتك ، أن تقوم بعمل جرد مفاجئ للمخازن ، وتتهمنى رسمياً باختلاس الثلاجة الجديدة .

ومما يثبت أننى كنت مجرد ذئب فى (k.G.1) ، فى مدرسة (حجاج) بك ، هو أننى قد حدثت فى وجهه بدهشة كبيرة ، وأنا أهتف :

- ولماذا يا (حجاج) ؟! أعد الثلاجة ، وسنتجاهل كل هذا .

فوجئت به يهتف بسخرية ذنبية :

- أعيدها ؟!

ثم راح يقهقه ، ويقهقه ، ويقهقه ، حتى تصوّرت أننى مهراجا هندى ، لا ينقصنى سوى الفيل الأبيض ، الذى يستبدلون به فى الصعيد العجل الأبيض (لظروف بيئية خاصة) ، قبل أن يقول بكل سخرية الذئب :

- إنها ثلاجة رائعة ، لا مثيل لها فى الأسواق ، وثمانها ، من الناحية الرسمية ، لا يزيد على الألف جنيه ، وهذا يعنى أنه - طبقاً للقانون - لا بد أن يقتصر أمر اختلاسها على جزاء إدارى ، مع خصم الثمن من راتبى ، والقانون لا يمنح الحكومة الحق فى خصم ما يزيد على ربع المرتب ، مهما بلغت كمية الخصومات ، وهذا يعنى أننى قد حصلت على ثلاجة فريدة ، بدون مقدم ، وبقسط شهرى يساوى صفر ، لأن ربع مرتبى يتم خصمه بالفعل ، بسبب أمور سابقة ، وأنا أعتبره نفقة الحكومة ، تأخذه من راتبى ، وأخذ أنا فى المقابل كل ما يحلو لى من مخازنها . قلت ذاهلاً :

- وماذا عن الجزاء الإدارى ؟!

مال نحوى ، قائلاً بلهجة مشفقة ، وبأسلوب أستاذ كبير ، يلقن تلميذه الصغير درساً جديداً :

- وماذا عنه ؟! أنا مجرد كاتب وحدة صحية ، فى قلب الجبل .. ما الذى يمكن أن يفعلوه بى ، أسوأ من هذا ؟!

وتعلمت الدرس الأول ، على يد (حجاج) ..

فبدون عقاب رادع ، لا يمكنك أن تمنع ارتكاب الجرم أبدًا ،
وأن أكثر ما يغري بمخالفة القانون ، هو القانون نفسه ، لو أنه
لا يعاقب الخطأ على نحو كاف ومناسب ..

درس ممتاز ، من ذئب مفكرس ..

ولكنه لم يكن أفضل درس تعلمته ، على يد (حجاج) ،
ولا آخر درس ..

فطوال اثني عشر شهرًا ، عشتها كمدير للوحدة الصحية في
(أبودياب شرق) ، تلقيت من صراعى مع (حجاج) عشرات
الدروس ، التي أفادتني طوال عمري ، في حياتي وعلمي ..
ولعل أهم هذه الدروس هو ذلك الدرس ، الذي تلقيته ذات
ليلة ، بسبب كلب ..

نعم .. كلب ..

فالوحدة الصحية ، التي أعمل بها ، كانت بخلاف كل الوحدات
الأخرى ، مفتوحة على العالم الخارجي ، من قبل حتى أن يسمع
العالم بالعولمة ، ولكن انفتاحها هذا كان لسبب مختلف تمامًا ،
فقد كانت وحدة بلا سور يحيط بها ..

ولأنها كذلك ، كنا ننعم طوال الوقت بصحبة كل أنواع
الحيوانات المعروفة (وأحيانًا غير المعروفة) ، وعلى رأسها

طبعًا الكلاب والحمير ، وعجل (البوهي) .. وللأخير قصة
عجيبة جدًا ، سأقصها عليكم فيما بعد ..

المهم أنه من بين ضيوفنا (الحيوانات) ، كان هناك كلب
نحيل أجرب يكرهه السيد (حجاج) بشدة ، دون أي سبب
واضح أو مفهوم ، ويبغض وجوده بغضًا لا مثيل له ، كما لو
أنه كان ينازعه الرضاعة في طفولته ..

وذات ليلة ، وبينما كنت أجلس في حديقة الوحدة (وحديقة هنا
لفظ مجازي تمامًا ، إلا لو اعتبرنا النباتات العشوائية والشوكية
زهورًا يانعة) ، وفوجئت بالأخ (حجاج) يحضر الكثير من
الطعام والشراب لذلك الكلب النحيل ، ويطرد الكلاب الأخرى ،
حتى لا تشاركه طعامه ، ويحميه منها طوال الوقت ..



ولأننى كنت قد انتقلت فقط إلى (K.G. 2) ، فقد ابتسمت
فى ارتياح ، وسألته :

- هل أتبك ضميرك على كراهيتك السابقة لهذا الكلب
المسكين ؟!

ابتسم فى سخرية ، وهو يجيب :

- بل إننى أبغضه أكثر من ذى قبل ألف مرة .

سألته فى دهشة :

- ولكنك تختصه بالطعام والشراب ، وتحميه من الكلاب
الأخرى .

ضحك ضحكته الذنبية الشيطانية ، وكأنما يسعده أننى لم
أفهم ، قبل أن يقول بلهجة أخافتنى :

- إننى أفعل هذا ، حتى تكرهه الكلاب الأخرى ، مثلما أكرهه
أنا ، بحيث تهاجمه وتوسعه ضرباً ، فور خروجه من هنا ، وهكذا
ينعزل وينزوى ، ولا يجد الراحة فى أى مكان بالأرض ..

والواقع أن جوابه هذا قد أصابنى بالذعر والهلع ..

ألهذا الحد تبلغ طاقة الشر ، فى نفس أى مخلوق ؟!

أيمكن أن يبلغ البغض والكراهية هذا المقدار ، دون مبرر
أو سبب معقول ؟!

ولكننى وعيت الدرس ..

لا تسع قط للتمييز عن الآخرين ، دون كفاءة حقيقية ،
وإلا لنلت كل غضبهم وبغضهم وكراهيتهم ..

وإذا ما أردت أن تثبت الكراهية والبغضاء فى نفوس الناس ،
تجاه شخص بعينه ، فيكفى أن تقربه إليك ، وتختصه بما تمنعه
عنهم ، وتمنحه امتيازات فائقة دون مبرر ..

وبعدها أتركه لهم ..

ترى هل استوعبت الدرس بدورك ؟!

فى الاتجاهين ؟!

العجيب ، على الرغم من كل هذا ، أن علاقتى بـ (حجاج)
لم تكن سيئة ، كما قد يتصور البعض ..

لقد كانت أشبه بالحرب الباردة ..

فمع كوننا الوحيدين اللذين يعيشان فى المكان ، باستثناء
الشغالتين (فهيمة) و (رقية) ، كان من الطبيعى أن نقضى
معظم وقتنا معاً .. نتحدث ، ونتسامر ، ونتبادل الخواطر
والأفكار ..

وباستثناء أوقات التحايل والخداع ، كان (حجاج) صعيداً
شهماً ، كريماً ، يولبنى اهتماماً كبيراً ، ويقلقه أمر راحتى
وطعامى وشرابى ، حتى إننى تصورت أن روح الذئب الرضيع

في أعماقي قد راقى به ، وقرّر أن يتبنائي ، وأن يمنحني كل خبراته الذنبية ، من الحضالة إلى الجامعة ..

والحديث عن (حجاج) هذا يحتاج إلى كتاب كامل ، إذ كانت شخصيته مرعبة معقدة ، يمتزج فيها الذنب بالحمل ، فلا يمكنك أن تتبين أحدهما من الآخر ، في معظم الأحيان ..

وهو ، في معظم الأحيان يسعى لتحقيق أكبر ربح ممكن ، دون أن يسبب سوى أدنى الخسائر للآخرين (فيما عدا الخسائر المادية بالطبع) ..

ومن أطرف ما كان يفعله (حجاج) ، عملية شهادات التسنين ..

ففي تلك الفترة ، من بداية الثمانينات ، كانت لعبة السفر إلى بلدان البترول في أوجها ، وكل شخص في (مصر) يسعى للسفر ، حتى وإن حصل على عمل تافه وبسيط للغاية ..

وفي الصعيد ، كان كل مخلوق يحلم بوظيفة عامل أجرى ، في سلة النفط ، وحتى يمكنه تحقيق ذلك الحلم العظيم ، كان من الضروري أن يسافر ..

ولقد فوجئ كل صعيدى بأن السفر يستلزم إجراء متعنتاً ، لم يستوعب أبداً سر إصرار الدولة عليه ..

أن يمتلك جواز سفر ..

ومشكلة جواز السفر هي أنه يحتاج في البداية إلى بطاقة شخصية ..

والبطاقة الشخصية تحتاج إلى شهادة ميلاد ..

وشهادة الميلاد عند النجار ، والنجار يريد منشار ، والمنشار .. معذرة .. أقصد - باختصار - أنه لم يكن هناك أحد من الكبار يمتلك شهادة ميلاد رسمية ، في الصعيد كله ..

لذا ، كان من الضروري أن يستخرج كل من يرغب في السفر ، شهادة تسنين ، لتحديد عمره الافتراضي ، واستخراج شهادة ميلاد ، بناء على ذلك العمر الافتراضي ، مما يفسح الطريق أمام استخراج بطاقة شخصية ، وجواز سفر ، وتذكرة طائرة إلى بلاد النفط ..

وكانت فرصة ذهبية للأخ (حجاج) ، الذي أوهم الكل أن استخراج شهادة التسنين هذه يحتاج - من الناحية الرسمية - إلى عامين كاملين ، وأشاع هذه المعلومة المخيفة في القرية كلها ، ثم أضاف إليها معلومة خفية ، تقول : إنه من الممكن اختصار هذه الفترة إلى ستة أشهر ، مقابل رشوة مقدارها مائتا جنيه ..

ولأن الكل يجهل كل شيء عن حقيقة الأمر ، فقد تهافت الكل على الشيخ (حجاج) ، وكل منهم يدفع الرشوة المطلوبة ، لاستخراج شهادة التسنين هذه ، في ستة أشهر فحسب ..

المدهش والمضحك فى هذا الأمر ، هو أن الحد الأقصى - رسمياً - لاستخراج شهادة التسنين هذه ، كان ستة أشهر بالتمام والكمال ..

وهذا يعنى أن الأخ (حجاج) كان يتقاضى مبالغ الرشوة ، ويدسها فى جيبه ، ثم يترك الأوراق لتأخذ مجراها ودورها الرسمى ، دون أن يبذل أدنى جهد .. ورزق الهبل ..

وعلى الجانب الآخر من شخصيته ، فوجئنا ذات يوم بالشرطة تجرى تحريات سرية مكثفة فى القرية ، ولأنها سرية جداً ، فقد عرفنا أن وريث أحد أبناء (أبو دياب شرق) ، والذي يقيم منذ سنوات طوال فى (القاهرة) ، قد استخرج شهادة وفاة عمه ، واتهم أبناء عمه بتزويرها ، باعتبار أن العم قد توفى منذ سنوات طوال ، وليس منذ عامين فحسب ، كما تقول الشهادة المزورة ، ثم دُلل هذا بأن هناك شهادة وفاة أخرى للعم ، مستخرجة من سجل مدنى (البدرشين) ، منذ عشرة أعوام ..

ومع معرفة الخبر ، بدا (حجاج) متوتراً عصبياً ، حتى إننى سألته عما إذا كان هو الذى استخرج شهادة الوفاة المزورة ، فاعترف لى بصحة ظنونى ، ولكنه أكد أنه لا يحمل أية مسئولية قانونية ، حيث إن الدكتور (أحمد) ، طبيب

الوحدة فى ذلك الحين ، يعد من الناحية القانونية - المسئول رقم واحد ، لأنه من المفترض أنه قد فحص الجثة وحدد سبب الوفاة ، قبل أن يضع توقيعه على الشهادة ..

ولمن لا يعلم ، فهذا لا يحدث فى معظم قرى الصعيد ، أو لم يكن يحدث ، أيام كنت أنا هناك ..

فالناس فى قرى الصعيد لا تعترف كثيراً بالرسميات ، لذا فما إن يتوفى أحدهم ، حتى يقوموا بدفنه ، ويقيموا العزاء (لو لم يكن ضحية عملية ثأر) ، ثم يأتون بعد أسبوع أو أسبوعين لاستخراج شهادة الوفاة ، وكأنها بطاقة تموين أو شهادة تموين ، يمكن استخراجها فى أى وقت ..

ولأنه من المستحيل أن تغير العادات الموروثة ، وخصوصاً فى منطقة شديدة التحضر كهذه ، كان لابد أن يتكيف الأطباء مع هذه العادة غير الطبيعية ، لذا فكلنا هناك نعتمد على التحريات ، بدلاً من الكشف الطبى ، فنسأل ونتقصى ، حتى نعرف أسباب الوفاة المفترضة ، ثم نستخرج الشهادة بعدها ..

وهذا بالطبع إجراء غير قانونى ، وحتى غير منطقى ، ويفتح الباب على مصراعيه للخداع ، والتمويه ، وحتى للجريمة والقتل ، ولكن الكل مضطر للسير فى هذا الأمر ، حتى يمكن تغيير عقول الأخوة الصعايدة ، أبناء قرى الوجه القبلى ..

ولهذه الأسباب ، تورط الطبيب السابق الدكتور (أحمد) ،
الذى لم ألتق به قط ، فى شهادة الميلاد المزورة هذه ، وصار
من المحتمل أن يتورط فى جنائية تزوير محرر وفاة أيضاً ،
وهى تهمة كفيلة بتدمير مستقبله تماماً ..

لولا أن اختفى (حجاج) فجأة ..

اختفى لثمان وأربعين ساعة فحسب ، ثم عاد مبتسماً ،
متورداً ، رافع الرأس (بمعنى أن درجة ميل رأسه على كتفه
أصبحت أقل) ، وحضر إلى مسكنى ، قائلاً فى ظفر :

- المشكلة انتهت .

سألته فى لهفة ودهشة :

- كيف ؟!

فوجئت به يناولنى الورقة الأصلية ، التى تحمل بيانات
شهادة الوفاة ، من مكتب صحة (البدرشين) ، وهو يجيب فى
زهو :

- لقد التقيت بكاتب صحة (البدرشين) ، وأفهمته أننا
زميلان ، فمزق الورقة من الدفتر الرئيسى ، وأعطانى إياها ،
وهكذا لن تجد الشرطة دليلاً رسمياً واحداً ، يثبت أن الرجل قد
مات فى (البدرشين) بالفعل ..

ولقد أدهشنى هذا حينذاك ..

وأفرغنى ..

ألهذا الحد بلغ الاستهتار والفساد والإهمال ، فى مكاتبنا
الحكومية الرسمية ؟!

ألهذا الحد بلغت الخسنة والضعفة ؟!

ولكن هذا أيضاً كان درساً جديداً ..

فالأذئاب كلها تتآزر وتتعاون ، إذا ما فاحت رائحة الخطر ..

على عكس الحملان ..

ما إن يظهر الذئب بينها ، حتى تتدافع منفردة فى كل صوب ،
ولا هم للواحد منها سوى أن يفرّ بجلده وينجو بحياته ..

وكما سبق أن أخبرتكم من قبل ، كان (حجاج) هذا ذئباً
وحملأ فى آن واحد ..

ولوصفه بالحمل هذا حكاية واحدة ، لا يمكننى أن أتمالك
نفسى من الضحك ، كلما تذكرتها ، أو جالت بخاطرى ..

ف ذات ليلة ، وفى أثناء إحدى فترات التوتر وحرب الثأر ، بين
العرب والهوارة ، خرجت مع (حجاج) لزيارة أحد أصدقائى
من العرب ، وكان هذا يحتم أن نقطع - سيراً على الأقدام - أحد
النجوع التابعة للهوارة ..

وكنا نحفظ القواعد ، الخاصة بتلك الفترات الحربية ..

لا بد أن نرتدى القمصان والسرراويل ، لنثبت أننا غرباء على القرية ، وأن نسير فى منتصف الشارع بالضبط ، وألا تنحرف يميناً أو يساراً ..

ولقد فعلنا هذا فى طريق الذهاب ، حتى يرانا القناصة ، المختبئون فوق أسطح المنازل ، وسط الحطب وعيدان القصب ، لحماية المكان ورصد أية محاولة للهجوم ..

وكانت ليلة لطيفة جداً ، قضيناها فى منزل صديقى العربى (فتحى) ، وتعاليت خلالها ضحكاتنا ، على الرغم من حالة التوتر التى تسود القرية ..

ثم حانت لحظة العودة ..

ولأن السهرة كانت ممتعة ، فقد نسى الأخ (حجاج) القواعد ، وانحرف إلى شجرة على جانب الطريق ، ليقضى حاجته ..

وهنا فوجئنا باتطلاق رصاصات مدفع آلى ، تشق سكون الليل ، وتضرب الأرض ، على مسافة متر واحد منا ..

وبكل رعبه وذعره ، صرخ (حجاج) ، وهو يخرج من خلف الشجرة ، رافعاً ذراعيه إلى أعلى ، ومتقافزاً على نحو مضحك :

- أنا (حجاج) .. أنا (حجاج) .

توقف إطلاق النيران على الفور ، وسار صمت رهيب ، دون أن يعلن أحد عن وجوده ، أو يعتذر ، أو حتى يفتح أى شخص باب أو نافذة منزله ..

وبخطوات سريعة ، رحنا نبتعد أنا و (حجاج) عن منطقة الخطر ، فى اتجاه الوحدة التى لاحت من بعيد ..

ولأننى كنت أعلم أنه يحتاج بشدة إلى قضاء حاجته ، فما إن تجاوزنا دائرة النجع ، حتى قلت له :

- لقد خرجنا من نجع الهوارة .. يمكنك أن تقضى حاجتك الآن .

اتعقد حاجباه ، وغمغم فى عصبية :

- فيما بعد .. فيما بعد .

استوقفته ، قائلاً :

- ولماذا فيما بعد ؟! هذا المكان مناسب ..

زمجر فى عصبية أكثر ، وهو يقول :

- لم تعد هناك ضرورة .

عندئذ فقط ، لاحظت ذلك البلل فى سرواله ، وأدركت أنه لم يعد بحاجة إلى قضاء حاجته بالفعل ، وأن الحمل فى شخصيته قد برز ، بعد أن غرق الذنب ..

غرق في شبر من الماء ..

أو من الـ ..

وربما كان لهذا الحادث أكبر الأثر ، فى أن أفقد نصف
مخاوفى وقلقى تجاه أستاذ الذئاب وذئب الأساتذة (حجاج) ،
وأنا استثمر ذهنى فى أمور أخرى فى الوحدة الصحية ، خاصة
وأن سلفى قد ترك خلفه عشرات الأمور المعلقة ، التى تحتاج
إلى الحسم والبت ..

وكان هذا يعنى أن أبدا حرباً جديدة وعنيفة ..

حرب إثبات الذات .

(وللحديث بقية ..)



بشرة بيضاء .. (قصة قصيرة)

خفق قلب (نهلة) فى قوة ، وهى تلتقط أنبوبة الكريم
الجديد من الصيدلى ، وراحت تلهث فى انفعال عجيب ، أدهش
الصيدلى نفسه ، وهى تنقده الثمن ، ثم تضم الأنبوبة إلى
صدرها فى سعادة جمّة ، وتهرع بها إلى منزلها ..

وحتى فى منزلها ، بدت الدهشة على وجه أمها ووالدها ،
مع تلك الابتسامة الكبيرة التى تملأ وجهها دقيق الملامح ،
ومرحها الزائد عن الحد ، وهى تلقى عليهما التحية ، ثم تهرع
إلى حجرتها ، وتغلق بابها خلفها فى إحكام ..

وفي دهشة حائرة ، غمغم والدها :

- ماذا أصاب البنت ؟! هل ربحت جائزة ما ؟!

تطلعت الأم في حنان إلى باب الحجرة ، قبل أن تغمغم
بتسمة :

- ليست الجائزة ما يسعد البنات ، إلى هذا الحد .

هتف مستنكراً :

- وما الذى يمكن أن يسعدهن إذن ؟!

اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول فى خفوت حنون :

- الرجال لا يمكنهم فهم هذا قط .

مطّ الأب شفّتيه ، وأشاح بوجهه ، ليدفنه فى جريدة الصباح ،
متمتماً :

- يا للنساء !

أما (نهلة) ، فقد راحت تدور فى حجرتها بسعادة غامرة
وكان أنبوبة الكريم ، التى ابتاعها من الصيدلية ، تحوى كل
أسرار السعادة والهناء ، فى الكون كله ..

وبكل لهفتها وسعادتها ، انطلق عقلها يبحث عنه ..

عن ذلك الذى خفق له قلبها لأول مرة ، منذ وعت عيناها
الدنيا ..

(أيمن) ..

يا إلهى .. كم تحبه ..

كم تذوب عشقاً وسعادة ، كلما وقع بصرها عليه ..

إنه ، من وجهة نظرها ، مثال للشباب الكامل ، وفارس
الأحلام ، الذى تحلم به كل فتاة ..

وسيم ، أنيق ، هادئ ، مهذب ، وابن لعائلة طيبة ميسورة
الحال ..

أية فتاة فى الدنيا ، يمكن أن تسقط أسيرة حبه ، من النظرة
الأولى ..

من وجهة نظرها طبعاً ..

ولكن المؤسف ، فى كل هذا ، هو أنه لا يشعر بوجودها قط ..

صحيح أنه جم النشاط ، له روح اجتماعية طيبة ، وصادقات
بلا حدود ، داخل الجامعة وخارجها ..

إلا أنه لم يشعر بوجودها ولو مرة واحدة ..

ربما لأنها بطبيعتها خجولة منطوية ، لا تميل إلى الاختلاط
أو الاجتماعيات ..

أو لأنها لا يمكن أن تلفت انتباه أحد ..

وخصوصاً من كان محاطاً بالاهتمام مثله ..

وما إن جال هذا بخاطرها ، حتى توقّف خفقان قلبها ، وفوجئت بدلو من المرارة ينسكب في أعماقها ..

وبكل تلك المرارة ، مالت تتطلع إلى وجهها في المرآة ..

كانت ضئيلة الجسد ، دقيقة الملامح ، عادية القسمات ، كما أنها كانت ، وهذا هو الأسوأ من وجهة نظرها ، خمرية البشرة ..

ومن المؤكد ، وفقاً لتقديرها ، أن فتاة خمرية مثلها ، لا يمكن أن تلفت انتباه شاب وسيم مثله ، محاط دوماً بالبيضاوات الجميلات ، اللاتي تصلح الواحدة منهن للعمل كنجمة سينمالية ، تخلق لب المشاهدين في كل مشهد ..

وهي تؤمن تماماً ، بحكم مشاهداتها وتجاربها المحدودة ، أن الرجال في العالم العربي ، لا يميلون أو ينبهرون إلا ببيضاوات البشرة فحسب ..

كثيراً ما كانت تسمع الكل يمتدحون فتاة ما ، ويصفونها بأنها بيضاء كالقشدة ..

حتى أمها ، كانت تصف دوماً جارتهم (دلال) بهذه الصفة ، للتأكيد على جمالها وحسنها ، وتبرير تهافت العرسان عليها ، قبل أن تبلغ العشرين من عمرها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٢١

وفي كل مرة يردّد فيها أحد هذا ، كانت تنكمش في أعماقها ، وتنزوي بمشاعرها ، وتخفي مرارتها وحزنها ، وهي تتطلع إلى بشرتها الخمرية ، التي لم توصف بالجمال قط ..

وحتى في كل مرة تشاهد فيها مذيوعات التليفزيون ، أو مقدمات البرامج ، أو حتى ممثلات السينما ، كانت تدرك أن البشرة البيضاء ، والبيضاء وحدها هي سر الحسن والجمال .. والحب ..

ولكنها اليوم وجدت الوسيلة إلى عالم الجمال .. ذلك الكريم الذي شاهدت إعلانه في التليفزيون ..

الكريم الذي يمنح السمرات والخمرات بشرة بيضاء ..

حتى في الإعلان ، لم يهتم الشاب بالفتاة إلا بعد أن اكتسبت بشرة بيضاء ..

هذا هو الجمال الذي يعترف به الكل ..

الجمال الحقيقي ..

وفي حماس ، أخرجت أنبوية الكريم من علبتها ، وقرأت النشرة المصاحبة جيداً ، ثم بدأت تدهن وجهها بالكريم ، وهي تحلم باليوم الذي تمتلك فيه سر الجمال والحسن ..

وبينما تحلم بهذا ، سمعت دقات على باب حجرتها ، مع صوت والدتها الحنون الدافئ ، وهي تسأل في حذر :

- (نهلة) .. هل نمت ؟!

أسرعت تفتح الباب لأمها ، وهي تهتف بابتسامة كبيرة :

- بل أنا مستيقظة يا أمي .

تطلعت إليها أمها بحنان متسائل ، قبل أن تدلف إلى حجرتها ، وتجلس على طرف فراشها ، متسائلة في حذر أكثر :

- كيف حالك ؟!

ضحكت (نهلة) ، قائلة :

- بخير .. هل أتيت فقط لهذا ؟!

ارتبكت الأم ، وحاولت أن تجد في نفسها الجرأة ؛ لتلقى السؤال الحقيقي ، الذي يشغل ذهنها ، إلا أن لسانها تعلّق في حلّقها ، وهي تدور في الحجرة ببصرها في حيرة ، و ..

وفجأة ، وقع بصرها على أنبوبة الكريم ، وكالغريق الذي تعلّق بقشة ، التقطت الأنبوبة ، متسائلة :

- هل ابتعت كريمًا جديدًا ؟!

أومأت (نهلة) برأسها إيجابًا ، وهي تبتسم في سعادة ، فألقت أمها نظرة على الكريم ، قبل أن تهتف في دهشة :

- كريم لتبييض البشرة ؟! فيم احتياجك لشيء كهذا ؟!

هزّت (نهلة) كتفها ، وأشارت إلى وجهها ، قائلة :

- ما رأيك أنت ؟!

تطلعت إليها أمها لحظة ، ثم ابتسمت في حنان ، مجيبة :

- رأيي أنك لست بحاجة إليه على الإطلاق .

ضايقتها عبارة أمها ، على الرغم مما فيها من حب ودفء ، فقالت في عصبية :

- دعينا لا نخدع أنفسنا يا أمي .. البشرة البيضاء علامة الجمال ، في (مصر) على الأقل .

هزّت أمها كتفها ، قائلة :

- ربما ، ولكن لكل ذوقه ، وكما يقولون في الأمثال الشعبية : « لكل نوع من الحبوب كيّاله » ..

قالت (نهلة) بعصبية أكثر :

- وماذا لو أن كل الكياليين لهم منظور واحد ؟!

ابتسمت أمها ، قائلة :

- مستحيل ! لو أن هذا صحيح لما اتبهرت (مصر) كلها ،

بل واتبهر العالم كله ذات يوم بالفنّانة (سعاد حسني) ، واعتبروها رمزًا للجمال والحسن ، وهي خميرة البشرة مثلك .

قالت فى إصرار :

- إنها حالة خاصة .. يكفى أنها كانت نجمة سينمائية .

قالت أمها فى سرعة :

- وكيف أصبحت كذلك ، لو أن الكل يهوى صاحبات البشرة

البيضاء فحسب !؟

أجابتها بسرعة أكبر :

- لأنها موهوبة .

تنهدت الأم ، وكأنما تعلن بأسها من استمرار المناقشة ،

ونفضت ، قائلة :

- افعلنى ما يروق لك يا (نهلة) .. إنها حياتك وأفكارك

يا بنيتى ، ولكن صدقينى .. أجمل ما فى الإنسان هو ما خلقه عليه

الله (سبحانه وتعالى) ، وبه وحده سيجد قسمة ونصيبه ..

قالت لها الأم ، وخرجت من الحجرة ..

ومن المشكلة كلها ..

ولكن (نهلة) لم تقتنع ..

كيف يمكن أن ينهى حوار بسيط ، كل ما جمعه فى أفكارها

وأعماقها لسنوات وسنوات !؟

كيف !؟

إنها ستواصل استخدام ذلك الكريم الجديد ، حتى تحصل على

البشرة المطلوبة ..

البشرة البيضاء ..

وكم أسعدها أن أتى الكريم مفعوله رويدًا رويدًا ..

فبعد أسبوع واحد ، لاحظت أن بشرتها صارت أكثر ضياءً ..

وبعد أسبوعين ، أصبحت قمحية ..

ثم بيضاء ..

حتى زملاء الدراسة كلهم لاحظوا هذا ..

كلهم أثنوا على حسننها ، وجمالها ، وبياض بشرتها الجديد ..

كل زميلاتها السمرات سألنها عن اسم الكريم واستخداماته ..

ومع كل هذا التهافت ، اكتسبت نفسها ثقة كبيرة ..

ثقة جعلتها تعترض طريق (أيمن) ذات صباح ، وتسأله :

- أستاذ (أيمن) .. أما زالت هناك أماكن شاغرة ، فى

رحلة (القناطر) !؟

رأت الدهشة ترسم على وجهه ، وتنتقل إلى صوته ، وهو

يسألها بأسلوبه المهذب :

- هل ترغبين فى الانضمام إليها ؟!

كانت هذه أول عبارة يتبادلانها ..

وأول مرة يبدى فيها اهتماماً بها ..

يومها لم يخفق قلبها فحسب ، وإنما راح يرقص طرباً ،
وكانها ملكت الدنيا كلها ..

ولقد استعدت لتلك الرحلة بكل ما تستطيع ..

انتقت أفضل وأجمل ثيابها ..

وصففت شعرها عند مصفف شعر معروف ..

ووضعت المزيد من الكريم ..

وعندما ذهبت إلى (القناطر) فى أول رحلة تنضم إليها ،
منذ التحاقها بالجامعة ، كانت تمتلك بشرة بيضاء بحق ..

وثقة بلا حدود ..

ومع نهاية الرحلة ، اتجه هو إليها ، وهو يبتسم ابتسامة
عذبة ، ويقول :

- آنسة (نهلة) .. اسمح لى أن أشكرك ، على نشاطك وحيويتك
وروحك العالية فى الرحلة .. لقد كنت بحق أحد أسباب نجاحها ..

لم يكتف بهذا القول ، الذى فجر فى كيانها كل ينباع الفرح
والسعادة ، وإنما احتل المقعد المجاور لها ، ليواصل حديثه
معه ، طوال طريق العودة ..

تحدثا حول العديد من الأمور ..

الدراسة ..

والسياسة ..

والفن ..

والرياضة ..

وحتى عن الحب ..

وعندما وصلا إلى الكلية ، صافحها فى حرارة ، قائلاً :

- أشكرك مرة أخرى يا آنسة (نهلة) ... لقد كان الحديث
معه ممتعاً بحق .. أرجو أن أجد الفرصة لتكرار هذا .

لا يمكن أن تبلغ السعادة هذا الكم أبداً ..

إنه لم يشعر بوجودها فحسب ، وإنما راق له مجلسها أيضاً ..

لقد أعجب بها ..

بل وربما أحبها ..

كم كانت على حق ، عندما منحت نفسها تلك البشرة البيضاء ..

كم كانت على حق ..

تضاعفت لديها تلك القناعة ألف مرة ، خلال الأسابيع التالية ..

لقد تكرر لقاؤهما ، وتكررت أحاديثهما مرات ومرات ..

ليس هذا فحسب ، وإنما صار من المعتاد أن تراهما معاً ،
منهمكين في الحديث ، طوال أوقات الفراغ في الكلية ..

ومع مرور الوقت ، أدرك الكل أن (أيمن) يحب (نهلة) ،
وأنها بدورها غارقة في حبه حتى النخاع ..

ولكن أحدهما لم يصارح الآخر بهذا قط ..

حتى كانت تلك اللحظة ..

لحظة عادية ، مثل كل لحظات مناقشاتهما ، توقف هو فيها
فجأة عن الحديث ، وتطلع إلى عينيها لحظة ، بكل حب وحنان
ودفء الدنيا ، قبل أن يقول دون مقدمات :

- (نهلة) .. أنا أحبك ..

لم يخفق قلبها لقوله ..

ولم يرقص بين ضلوعها فرحة وسعادة ..

لقد وثب فجأة من جسدها ، واستقر بين كفيه ..

وفي عينيهِ ..

وقلبهِ ..

كل ذرة في كياتها أعلنت فرحتها وسعادتها ولهفتها وحبها ..

وكان من الطبيعي أن يفهم ..

وأن يثب قلبه بدوره بين يديها ..

وبكل حب الدنيا ، مال نحوها ، وتطلع إلى وجهها ، الذي
اصطبغ كله بحمرة الخجل ، هامساً :

- هل تعلمين .. أنت صورة مجسمة لفتاة الأحلام ، التي
أبحث عنها منذ حدثتني .. جميلة ، رقيقة ، مهذبة ، مثقفة ،
واعية ، ومن أسرة طيبة .. كل صفة تمنيتها في زوجة
المستقبل ، فيما عدا ..

بتر عبارته بغتة ، وكأنما وجد أنه من غير اللائق أن يكملها ،
وامتدت أصابعه تتسلل إلى كفها ، فسألته في اهتمام :

- فيما عدا ماذا ؟!

بدا عليه الخجل ، وهو يغمغم :

- أمر بسيط ، لا يستحق الذكر .

هتفت بحرارة عجيبة :

- أخبرني إياه .. أرجوك .

ارتبك أكثر ، وحاول أن يبتسم في خجل وحرص ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه ، وخفض صوته ، وهو يجيب :

- فتاة أحلامي كانت دائماً خميرية البشرة .

اتسعت عيناها بدهشة بالغة ، وحدقت في وجهه بذهول ، جعله يرتبك أكثر وأكثر ، ويلوح بيده ، قائلاً :

- ولكن لا بأس بالبشرة البيضاء .. ستصبح بالنسبة لي أفضل بشرة ؛ لأنها بشرتك أنت ، و ..

قاطعته في حزم :

- (أيمن) .. هناك أمر أريد أن أعترف لك به .

وفي تلك الليلة ، ألقت أنبوبة الكريم الجديد في سلة المهملات ..

وتركت بشرتها تستعيد لونها الأصلي مع الوقت ..

لون الحب ..

الحقيقي .

كوكب
٢٠٠٠

روايات مصرية الجيب

قصة العدد

قارون



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
TATV - TATV - 010500 ٥٠
فاكس : ٢٢٧١٠٠٢

١ - الأعماق ..

« يا للملل ! »

غمغم رجل الأعمال (صفوت البرديسى) بالكلمة ، فى ضجر شديد ، وهو يجلس فى استرخاء تام ، فوق مقعد وثير ، فى حديقة الفندق السياحى الشهير فى (الفيوم)^(*) ، وتتأهب فى قوة ، قبل أن يرفع قدميه على المقعد المقابل ، وأرخى القبعة القماشية التى يرتديها على عينيه ، اتقاءً لضوء الشمس ، متابعاً :

- قل لى بالله عليك ، ما الذى أتينا لنفعله هنا ؟!

ابتسم شريكه وصديق عمره (عاصم) ، وهو يجيب :

(*) الفيوم : محافظة تحتل منخفضاً صحراوياً ، غرب محافظة (بنى سويف) ، عاصمتها (الفيوم) ، تم ضمها إلى محافظة (بنى سويف) أكثر من مرة ، قبل أن تنفصل ، وتصبح مديرية قائمة بذاتها ، منذ عام (١٨٧٠م) ، أرضها غير مستوية السطح ، ويقع جزء كبير منها تحت مستوى البحر ، فى شمالها الغربى تقع بحيرة (قارون) ، يربطها بالوادي شريط ضيق من الأراضي الزراعية (فتحة اللامون) ، يجرى فيها (بحر يوسف) ، الذى يروى المحافظة ، التى تشتهر بزراعة الأرز ، والموالح ، والتين ، والعنب ، وبها الكثير من المناطق السياحية .

- المفترض أننا هنا لتهدئة أعصابنا ، والتفكير فى وسيلة للخروج من تلك الأزمة المالية .. هل نسيت ؟!

مط (صفوت) شفتيه ، وهو يقول فى حلق :

- وكيف يمكننى أن أنسى شيئاً كهذا ؟!

ثم خفض قدميه ، واعتدل فى مجلسه ، وهو يتابع فى شىء من العصبية :

- لست أدرى كيف حدث هذا .. لقد كنا نسير على ما يرام ، وكان المفترض أن تقفز بنا تلك الصفقة الأخيرة إلى القمة ، ولكن ...

بتر عبارته ، ليعض شفتيه فى مرارة ، ويهز رأسه فى عصبية ، جعلت شريكه (عاصم) يعقد حاجبيه ، ويقول فى لهجة ، حملت على الرغم منه لمحة صارمة :

- لو كان كل شىء يسير على ما يرام ، لما حدث هذا .

استدار إليه (صفوت) بحركة حادة ، هاتفاً :

- ماذا تعنى ؟!

اتعقد حاجبا (عاصم) أكثر ، وحاول عبثاً العودة للاسترخاء فى مقعده ، إلا أن (صفوت) تابع بحدة أكثر :

- لقد فعلت ما فعلت ، كمحاولة لتحقيق أفضل وأكبر ربح ممكن للشركة .

تسلل الغضب إلى صوت (عاصم) ، وهو يقول :

- بتزوير فواتير الشراء ، ومحاولة خداع الجمارك والضرائب ؟!

لَوْح (صفوت) بذراعه ، هاتفاً :

- هذا ما يفعله الجميع .

أجابه (عاصم) ، وهو يبذل كل طاقته ، للسيطرة على أعصابه :

- انتشار الخطأ لا ينفي عنه خطأ .

صاح (صفوت) في غضب :

- كلام سخيف ، وفلسفة بالية ، لم تعد تناسب الزمن وطبيعة العصر .. الكل يفعل ما أفعله ، كمحاولة لتحقيق أرباح مناسبة .. حتى الدولة تفعل بنا هذا .. هل نسيت تقديرات الضرائب الجرافية ، والإهمال في نقل وتخزين ما نستورده ، و ...

قاطعه (عاصم) ، وقد عجز أخيراً عن السيطرة على أعصابه :

- وماذا كانت النتيجة ؟! انكشاف الأمر ، ومصادرة البضائع ، وقضية قد ينهار معها كيان الشركة كله ، لو لم نحصل على الأموال اللازمة للتعويضات المطلوبة .

احتقن وجه (صفوت) ، وهو يقول في عصبية :

- مجرد سوء حظ .

نهض (عاصم) من مقعده في حركة حادة ، وهو يقول :

- بل سوء تقدير ، وسوء تخطيط .

لَوْح (صفوت) بسبابته في وجهه ، هاتفاً :

- اسمع يا (عاصم) .. لو أننا سنقضى ما تبقى من الأسبوع هنا ، فحذار أن ...

قاطعه (عاصم) في صرامة محتدة :

- لا داعي يا (صفوت) .. لا داعي .. لست أظنني أستطيع قضاء ساعة واحدة أخرى بصحبتك .. سواء هنا أو في (القاهرة) .. لقد كان مجيئنا إلى هنا مجرد محاولة أخيرة ، لإصلاح ما أفسدته بيننا ، بأسلوبك العصبى ، وأطماعك المنطلقة بلا حدود .

صاح (صفوت) :

- لو أن العمل معي لا يروق لك ف ...

قاطعه (عاصم) في صرامة شديدة :

- الوداع يا (صفوت) .

ثم استدار في حدة ، وابتعد عنه بخطوات سريعة ، متابعاً :

- المحامى سيتصل بك ؛ لإنهاء إجراءات فض الشركة .
احتقن وجه (صفوت) بشدة ، ولوح بذراعه فى غضب ،
هاتفاً :

- هذا لن يعفيك من دفع نصيبك من الخسارة والتعويضات .
تجاهل (عاصم) العبارة الأخيرة ، وهو يختفى داخل الفندق ،
فاحتقن وجه (صفوت) مرة أخرى ، وهو يقول فى حدة :
- كيف يتخلى عنى فى ظروف كهذه ؟! يا للحقارة !

عقد ساعديه أمام صدره ، وراح ينفخ فى غضب عصبى ،
وهو يستعيد ما حدث .

لقد حاول بالفعل خداع الجمارك والضرائب ..

ولكن ماذا فى هذا ؟!

الكل يفعل مثله ..

كل التجار ..

وكل رجال الأعمال ..

ما ذنبه لو أن الأمور لم تسر كما يرام ؟!

ضابط الجمارك كان نظيفاً ، ولم يقبل رشوته ..

مجرد مصادفة !

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف النهار بعد ، وعلى
الرغم من هذا فقد ترك مقعده ، واتجه إلى مقهى الفندق ، وطلب
من النادل (*) كأساً من الخمر ، إلا أن هذا الأخير هز رأسه ،
قائلاً :

- لا يمكننى تقديم شىء كهذا هنا يا سيدي .

اتعقد حاجباً (صفوت) ، وهو يهتف :

- يا للسخافة !

سأله النادل فى حذر :

- ما رأيك بزجاجة مياه غازية ؟!

مط (صفوت) شفتيه ، مغمماً :

- مياه غازية ؟! كلاً .. إبنى أفضل قدحاً من الماء .

أحضر النادل الماء ، وسأله بابتسامة مرسومة ، وهو يضعه
أمامه :

- هل تشعر بالملل هنا يا سيد (صفوت) ؟!

هز (صفوت) كتفيه ، قائلاً فى سخرية عصبية :

- الملل فحسب !؟

اعتدل النادل ، وهو يقول :

- ولكن (الفيوم) بها عشرات الأماكن السياحية الجميلة ،
ولو أنك قررت أن تخرج للنزهة ، فيمكننى أن أرشدك إلى
أربعة أو خمسة أماكن رائعة .

زفر (صفوت) فى عصبية ، قائلاً :

- النزهة !؟ هذا آخر ما أفكر فيه يا رجل .. ما يهمنى بحق
هو أن أجد وسيلة لتهدئة أعصابى .

ثم هز رأسه فى قوة ، مستطرداً بحدة :

- آه لو كنا فى (الغردقة) .

سأله النادل فى اهتمام :

- ولماذا (الغردقة) !؟

لوح بذراعه ، قائلاً فى حنق :

- على الأقل كنت سأغوص بعض الوقت .

ردد النادل فى حذر مندهش :

- تغوص !؟

تنهّد (صفوت) ، وأوماً برأسه ، قائلاً :

- الغوص هو الرياضة الوحيدة ، التى يمكننى أن أنسى خلالها
كل متاعبى وتوتراتى .

ثم عاد يلوح بذراعه فى حنق ، هاتفاً :

- ولكن أين لى به هنا ؟

تردد النادل لحظة ، وكأنما يخشى التصريح بما لديه ، ثم لم
يلبث أن قال فى حذر :

- لو أنك تحمل معك أجهزة الغوص ، فربما ..

اعتدل (صفوت) بحركة حادة ، وهو يهتف فى لهفة :

- ربما ماذا !؟ هل يوجد مكان صالح للغوص هنا !؟

تلقت النادل حوله فى حذر ، قبل أن يميل على أذنه ، هامساً :

- ربما ليس من الناحية الرسمية .

لهث (صفوت) باتفعال عجيب ، وهو يسأله فى خفوت :

- وماذا عن الناحية غير الرسمية !؟

اعتدل النادل ، وابتسم ، قائلاً :

- لو أنك تحمل عدة الغوص ..

قاطعته (صفوت) فى لهفة :

— إنها دائماً فى حقيبة السيارة ، وأسطوانات الأكسجين
ممتلئة لحسن الحظ .

اتسعت ابتسامة النادل ، وهو يقول :

— عظيم .. فى هذه الحالة ، لدى صديق يمكن أن يوفر لك
مكناً للغوص

سأله (صفوت) بلهفة أكبر :

— أين ؟!

أشار النادل بيده إشارة عشوائية ، مجيباً :

— هناك .. فى البحيرة .

تألفت عينا (صفوت) بتساؤل ملهوف ، فتابع النادل فى
حزم :

— بحيرة (قارون) ..

وكانت هذه هى البداية ..

★ ★ ★

انتشرت أشعة الشمس الدافئة ، على سطح بحيرة (قارون) ،
فى ذلك اليوم ، الثانى عشر من أكتوبر عام ١٩٩٢ م ، وبدا
مظهرها ، مع انعكاس الأشعة الذهبية عليها ، أشبه بتحفة فنية

مبهرة ، جعلت (صفوت) يغفم ، داخل الزورق الذى يستقله :
— يا للروعة !

ابتسم النادل (مجدى) ، وهو يقول :

— ألم أقل لك .. لن تجد مكاناً فى العالم ، أجمل من بحيرة
(قارون) .

تطلع (صفوت) مرة أخرى إلى البحيرة ، وربّت على
أسطوانات الأكسجين فى قاع الزورق ، وهو يسأل فى اهتمام :

— هل القاع صخرى أم طيني ؟!

ارتفع حاجبا (مجدى) فى دهشة ، وهو يقول :

— عجباً ! لم يطرح أحد هذا السؤال من قبل قط !

ابتسم (صفوت) ، قائلاً :

— ربما لأن أحداً لم يحاول الغوص فيها أبداً .

تبادل (مجدى) نظرة صامتة ، مع صاحب الزورق
(حمادى) ، قبل أن يقول :

— الواقع أن الغوص هنا هو إجراء غير قانونى ، ولن يسمح به
الأمن أبداً ، فهم يقولون إن مياه البحيرة لم تعد نقية بشكل صحى ،
وأن الرؤية فى القاع عسيرة نوعاً ما ، وهذا ما دفعنا إلى

المخاطرة بالقدوم فى وضوح النهار ، إذ إن الرؤية منعدمة تحت السطح ليلاً .

قال (صفوت) فى شىء من العصبية :

- أهذه هى الأسباب الوحيدة ؟!

بدت الدهشة والحيرة على وجهيهما ، وغمغم (حمادى) :

- ولماذا تكون هناك أسباب أخرى ؟!

التقط (صفوت) زعنفتى الغوص ، وارتداهما فى عصبية ، وهو يقول :

- عندما يتعلّق الأمر بالحكومة ، لا يمكنك أن تتنبأ أبداً .

راقبه الاثنان ، وهو يضع منظار الغوص على عينيه ، ثم قال (مجدى) محذراً :

- لا تستخدم زى الغوص الأسود ؛ فهو يلفت الانتباه من عشرة كيلومترات ، فى مثل هذا الوقت .

غمغم (صفوت) فى حدة ، وهو يرتدى أسطوانة الأكسجين الأولى :

- لا تقلق .. أنا أعلم هذا .

ثم التقط كشافاً مائياً ضخماً ، ولوّح بيده ، قائلاً :

- لا تتحرّكاً من هنا حتى أعود .

قالها ، ومال بظهره إلى الخلف ، وترك جسده يهوى فى مياه البحيرة ..

كانت المياه باردة ، على الرغم من دفء الشمس ، ولكن جسده استوعب هذا ، وتكيف عليه فى سرعة ، وهو يغوص .. ويغوص ..

ويغوص ..

لم يكن القاع ممتعاً ، كمثيله فى مياه البحر الأحمر الصافية ، ولا يحوى تلك الأسماك الجميلة الملوّنة المتنوعة ، أو الأعشاب المرجانية العديدة المبهرة ..

كان قاعاً مزدوجاً ، من الصخور والطحالب والطين ، تعكّرت مياهه ، وباتت الرؤية فيه صعبة مرهقة ..

ولكنه واصل الغوص ، بالقرب من القاع ، فى محاولة لاستعادة هدوء أعصابه ..

فالغوص ، والغوص وحده ، كان يمنحه الهدوء ، ويبث فى عروقه حالة فريدة من الاسترخاء وراحة النفس ..

ربما لأنه يشعر أنه فى عالم خاص للغاية ..

عالم يحيا بتلقائية وهدوء ، واستقرار ، و ...

وفجأة ، سرت فى جسده رجفة عجيبة ..

رجفة لم يكن لها أبداً ما يبررها ..

وفى اللحظة ذاتها ، بدا وكأن القاع كله يرتجف وينتفض ،
وتضاعفت عكارة المياه إلى حد مخيف ، حتى انعدمت الرؤية
تماماً ..

وبكل ذعره وتوتره ، أشعل (صفوت) مصباحه الضخم ،
فى محاولة لاختراق المياه المظلمة ، ورؤية ما يحدث ..

ولكن عكارة المياه تضاعفت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتضاعف ذعر (صفوت) ألف ألف مرة ، وراح يضرب
الماء بكفيه وذراعيه وقدميه ، بمنتهى العنف ، فى محاولة
للفرار من خطر مبهم عجيب ..

ثم صك ذلك الصوت المكتوم مسامعه ..

صوت أشبه باتهيار ضخمة ، أو باتكسار جدار هائل ..

وبعدها توقف كل شيء ..

وراحت المياه تهدأ ..

وتهدأ ..

ومعها أعصاب (صفوت) ..

لقد زال الخطر ، أيّاً كان ، وهدأت الأمور ..

ولكن ماذا حدث ؟!

ماذا ؟!

استعاد رباطة جأشه ، وتصاعد فضوله فى أعماقه ، وتملكته
روح المغامرة ، فعاد يشعل مصباحه ، ويجوب القاع ، الذى
عادت مياهه إلى هدوئها ، وزالت عكارتها بالتدريج ..



كان كل شيء يبدو عادياً ، مستقرًا ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الشق ..

شق ضخمة في القاع ، لم يكن موجوداً من قبل ..

إنه واثق من أنه لم يكن هناك ..

شق يبلغ اتساعه مترين على الأقل ، يغوص فيه ضوء مصباحه ، حتى يبلغ قاعدة صخرية في نهايته ، مع ظل يوحى بوجود امتداد أفقى ، على مسافة أربعة أو خمسة أمتار تحت القاع ..

وعلى الرغم من خوفه ، لم يستطع (صفوت) المقاومة ..

وبدافع من فضوله ولهفته ، انطلق نحو الشق ، وغاص عبره في حذر ، حتى بلغ قاعدته الصخرية ..

كان هناك بالفعل امتداد أفقى ..

أو شبه أفقى ..

فلقد بدا ، من تلك الزاوية ، مائلاً إلى أسفل على نحو ما ..

وكان متسعاً ، يكفي لعبور رجلين على الأقل ..

وضوء المصباح لا يبلغ نهايته ..

وفي جراءة يحسد عليها ، انطلق (صفوت) يعبر ذلك الشق الأفقى ، ويتوغل فيه أكثر ، وأكثر ..

وأكثر ..

كان يمتد لعشرين متراً على الأقل ، ثم ينتهى فى فجوة ضخمة مغلقة ..

فجوة تنتهى بجدار صخرى هائل ..

ولكن هناك امتداد آخر إلى أعلى ..

امتداد ضخمة ، بحجم الفجوة كلها ..

ولأنه قد بلغ هذا الموضع بالفعل ، فلم يكن هناك مبرر للتراجع ..

لذا فقد ارتفع إلى أعلى ..

وقبل أن يقطع مترين بارتفاعه ، وجد نفسه فجأة ، فوق سطح الماء ..

وكانت مفاجأة مذهلة بالفعل ..

فكيف يصل إلى سطح الماء بهذه السرعة ، مع أنه من المفترض أنه تحت السطح فعلياً بعشرة أمتار على الأقل ؟!

بل بخمسة عشر متراً ، لو أضاف عمق الشق ..

وبكل دهشته وحيرته ، أدار مصباحه الضخم فى الفجوة الهائلة التى بلغها ..

كان داخل تجويف كبير ، يرتفع سقفه لثلاثة أمتار ونصف المتر تقريباً ، له جدران صخرية ، تحوى نقوشاً هيروغليفيه على الأرجح ..

ثم انخفض بضوء مصباحه ، وهو يهتف مبهوراً :

- ربّاه ! إنه معبد أثري مجهول ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، وقع ضوء مصباحه على أرضية
التجويف ..

وانعكست مئات الأضواء على وجهه ..

بل على المكان كله ..

وفى لحظة واحدة ، بدا وكأن الشمس قد أشرقت فى المكان
كله ، وألقت ضوءها الذهبى على جدراته ونقوشه وسقفه ..

واتسعت عيننا (صفوت) عن آخرهما ..

وخفق قلبه كما لم يخفق أبداً من قبل ..

والتمعت عيناه على نحو عجيب ..

والتمتع وجهه كله بالأضواء الذهبية المنعكسة ..

بل ، والتمتع كيانه كله باتبهار ، ولهفة ، وجشع الدنيا كلها ..

فما يراه أمامه ، لم يكن شيئاً عادياً أبداً ..

بل كان شيئاً مذهلاً ..

بكل المقاييس ..

وفى كل الظروف ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

٢ - زلزال ..

لوّحت زوجة (عاصم) بذراعها ، فى توتر بالغ ، وهى
تهتف بانزعاج شديد :

- إنه أعنف زلزال عرفته (مصر) .. لقد أصاب البلاد كلها
بالرعب .. هل تصدّق أن كل من أعرفهم غادروا منازلهم
مذعورين ، بأقل قدر من الثياب ، وكلهم بلا استثناء تصوّروا
أن بيوتهم تنهار .. ألهذا الحد فقد الناس ثقتهم فى البيوت
والمباني .. وهناك عمارة انهارت فى (هليوبوليس) ، وأخرى
فى مكان ما ، لست أذكره بالضبط ، والتليفزيون يقول : إن
عشرات الآثار القديمة قد تصدّعت ، و ...

أمسك كتفيها ، قائلاً :

- لقد انتهى كل شيء يا حبيبتي .. أهدنى .

هزّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- كلاً .. لم ينته بعد .. يقولون : إنه هناك توابع للزلزال ،
ربما تأتى مدمرة ، مثله تماماً ..

التقطت نفساً عميقاً ، وهو يقول فى توتر :

- إنها ظاهرة طبيعية ، ولا داعى لكل هذا الانزعاج .

أَلَقْتُ رَأْسَهَا عَلَى صَدْرِهِ ، وَتَرَكْتُ لِدُمُوعِهَا الْعَنَانَ ، وَهِيَ تَقُولُ :

- لَا بَدَّ أَنْ نَبْتَعدَ يَا (عاصم) .. لَا بَدَّ أَنْ نَتْرَكَ (القاهرة) هذه الأيام ، لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَغْمِضَ عَيْنِي ، وَأَنَا أَتَوَقَّعُ أَنْ يَنْهَارَ الْمَنْزِلُ فَوْقَ رَعُوسِنَا فِي آيَةٍ لِحِظَةٍ .. الْمَوْتُ تَحْتَ الْأَنْقَاضِ أَمْرٌ بِشَع .. بِشَع .. إِنِّي أَخْتَنِقُ ، كُلَّمَا تَصَوَّرْتُ نَفْسِي أَدْفِنُ حَيَّةً حَتَّى الْمَوْتُ ..

بَكَتْ فِي غِزَارَةٍ ، وَجَسَدُهَا يَرْتَجِفُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ كَعَصْفُورٍ مَبْتَلٍ ، فَرَبَّتْ عَلَيْهَا فِي حَنَانٍ ، قَائِلًا :

- لَنْ يَحْدُثَ هَذَا بِإِذْنِ اللَّهِ يَا حَبِيبَتِي .. (القاهرة) تَحْوِي آلَافَ الْمَنَازِلِ ، وَوَاحِدٌ أَوْ اثْنَيْنِ فَقَطْ أَتَاهَا ، وَسَتَثَبَّتِ التَّحْقِيقَاتُ أَنْ هَذَا قَدْ حَدَثَ بِسَبَبِ ضَعْفِ الْخَامَاتِ ، أَوْ عَدَمِ مِرَاعَاةِ الضَّمِيرِ وَالْقَوَاعِدِ فِي عَمَلِيَةِ الْبِنَاءِ ، أَوْ لِأَنَّهَا مَنَازِلٌ قَدِيمَةٌ لِلْغَايَةِ ، كَانَتْ بِالْفِعْلِ آيَلَةً لِلْسُقُوطِ ، سِوَاءِ أَجَاءِ الزَّلْزَالِ أَمْ لَا .. وَمَا تَعَاتَيْنِ مِنْهُ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ لِلْغَايَةِ ، يَطْلُقُونَ عَلَيْهِ اسْمَ (هَلَعٍ مَا بَعْدَ الْكَوَارِثِ) ، وَسَيُزُولُ مَعَ الْوَقْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

بَكَتْ أَكْثَرَ ، وَهِيَ تَهْتَفُ :

- أَنَا خَائِفَةٌ مَذْعُورَةٌ ، وَالْمَشْهَدُ لَا يَفَارِقُ ذَهْنِي أَبَدًا .

أَرَادَ أَنْ يَطْمَئِنَّهَا بِعِبَارَةٍ مَا ، لَوْلَا أَنْ ارْتَفَعَ رَنِينُ جَرَسِ الْبَابِ ، عَلَى نَحْوِ عَصْبِي مُتَصِلٍ ، فَاتَنَفَّضَتْ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، صَارِخَةً :

- مَاذَا حَدَثَ ؟! مَاذَا هُنَاكَ ؟!

اتَعَقَّدَ حَاجِبًا (عاصم) ، وَهُوَ يَرَبَّتْ عَلَيْهَا ، قَائِلًا :

- اطمَئِنِّي .. اطمَئِنِّي .

أَبْعَدَهَا عَنْهُ فِي صَعُوبَةٍ ، وَهُوَ يَسْرِعُ إِلَى الْبَابِ ، قَائِلًا فِي عَصْبِيَّةٍ :

- حَسَنًا .. حَسَنًا .. ائْتَنظِرْ قَلِيلًا ، الدُّنْيَا لَنْ تَنْتَهِيَ .

فَتَحَ الْبَابَ فِي حِدَةٍ ، وَكُلَّ ذَرَّةً فِي كِيَاتِهِ تَرُغِبُ فِي الْإِنْفِجَارِ ، فِي وَجْهِ ذَلِكَ السَّخِيفِ ، الَّذِي يَدُقُّ الْجَرَسَ بِلَا انْقِطَاعٍ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكِدْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ الْقَادِمِ ، حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ يَهْتَفُ ، بِكُلِّ دَهْشَةِ الدُّنْيَا :

- (صَفُوت) ؟! مَتَى عَدْتَ مِنْ (الْفَيُومِ) ؟!

اتَدَفَعَ (صَفُوت) يَتَشَبَّثُ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي اتِّفَعَالٍ عَجِيبٍ :

- لَنْ تَصْدُقَ يَا (عاصم) .. لَنْ تَصْدُقَ مَا عَثَرْتُ عَلَيْهِ .

حَدَّقَ (عاصم) فِي وَجْهِهِ بِدَهْشَةٍ ، وَحَاولَ أَنْ يَجْذِبَهُ إِلَى الدَّخْلِ فِي رَفَقٍ ، قَائِلًا :

- (صَفُوت) .. هَلْ شَعَرْتَ بِالزَّلْزَالِ فِي (الْفَيُومِ) أَيْضًا ؟!

لَوَّحَ (صَفُوت) بِذِرَاعِهِ ، هَاتِفًا بِنَفْسِ الْإِنْفَعَالِ :

- هذا الزلزال رائع .. إنه سبب خلاصنا ، وطريق القضاء على كل مشكلاتنا ومتاعبنا المالية إلى الأبد .

اتسعت عينا الزوجة فى دهشة مستنكرة ، وهى تهتف :

- (صفوت) ؟! هل جننت ؟! هذا الزلزال رهيب .. إنه يهدّد بدفننا أحياء .. هل يمكنك أن تتصوّر هذه البشاعة .. الدفن حيّا حتى الموت .. إنها أبشع ميتة فى الوجود ، وأسوأ .. قاطعتها ضحكة عصبية عالية ، انطلقت بغتة من بين شفّتيه ، وهو يهتف :

- الزلزال لا يحمل الموت وحده ..

ثم برقت عيناه على نحو عجيب مخيف ، وهو يضيف :

- قد يحمل معه الثراء أيضًا .

حدّق (عاصم) وزوجته فى وجهه بدهشة بالغة ، وخيّل إليهم أنه قد أصيب بجنون غير طبيعى ، فأمسك الأوّل يده ، وقاده إلى حجرة الصالون ، وهو يقول فى رفق مشفق :

- (صفوت) .. تعال يا صديقى .. سنعد لك كوبًا من النعناع ،

و ...

جذب (صفوت) يده فى حدة ، وهو يهتف :

- هل تظننى مجنونًا ؟! لك كل الحق فى هذا ، فما رأيته كان يكفى لإصابة عبقرى العباقرة بجنون مطبق ؟!

سأله (عاصم) فى حذر :

- ما الذى رأيته يا (صفوت) ؟!

أجابه (صفوت) فى انفعال ، وعيناه تبرقان بشدة :

- إنه هناك يا (عاصم) .. فى أعماق البحيرة فى (الفيوم) .. لقد رأيته بنفسى .. إنه شيء رائع ومبهر يا (عاصم) .. رائع ومبهر إلى أقصى حد .

كرّر (عاصم) سؤاله ، فى شيء من العصبية :

- ما الذى رأيته يا (صفوت) ؟!

برقت عينا (صفوت) أكثر وأكثر ، وأطلّ منهما جشع الدنيا كله ، وهو يجيب :

- الكنز .. الكنز يا (صفوت) .

قالت الزوجة فى حيرة مبهورة :

- أى كنز ؟!

تراجع (صفوت) ، وهو يهتف :

- كنز (قارون) .

اتسعت عينا (عاصم) وزوجته عن آخرهما ، وهما يحدقان فيه ، قبل أن يقول (عاصم) فى عصبية :

- قل لى يا (صفوت) .. هل يبدو لك الموقف مناسباً لهذا العبث السخيف .

أجابه (صفوت) فى انفعال :

- لا يوجد أى عبث يا رجل .. الكنز هناك .. بل الكنوز .. لقد رأيت ما يحتاج إلى قافلة من سيارات النقل ، لحمله إلى مكان آخر .

سألته زوجة (عاصم) فى اتبهار :

- رأيت ماذا ؟!

التمعت عينا (صفوت) عن آخرهما ، وهو يهتف :

- ذهب .. رأيت أطناناً من الذهب ، والحلى ، والمجوهرات .. رأيت ذهباً يتجاوز ثمنه آلاف المليارات .. ذهباً يكفى لتحويلنا إلى أغنى أغنياء العالم ، فى غمضة عين .

برقت عينا الزوجة فى لهفة ، فى حين انعقد حاجبا (عاصم) ، وهو يقول :

- (صفوت) .. هل تدرك ما تقوله ؟!

هتف (صفوت) بفرح جنونى :

- بالتأكيد يا رجل .. بالتأكيد .. لقد رأيت كل هذا بعيني .

اندفعت زوجة (عاصم) فجأة ، وأمسكت ذراع (صفوت) فى قوة ، وهى تقول بكل لهفة الدنيا :

- أريد أن أراه .. أريد أن أرى كل هذا الذهب بنفسى .

قهقه ضاحكاً ، وهو يهتف :

- بالتأكيد .. لماذا أنا هنا إذن ؟!

قال (عاصم) فى صرامة :

- هل صدقت ما قاله ؟!

هتفت ، قبل حتى أن يكمل سؤاله :

- نعم .. أصدقه .

عاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يقول :

- لماذا ؟! ألاك ترغبين فى تصديقه ؟! هل تصوّرت أنه من السهل أن يغوص شخص ما فى قاع بحيرة (قارون) ، ليجد كنزه تحتها بهذه البساطة ؟!

قال (صفوت) فى سرعة :

- هذا ما حدث بالضبط .

لَوْح (عاصم) بيده ، هاتفًا :

- لم نسمع أبدًا عن ممارسة رياضة الغوص ، في بحيرة (قارون) .

تَأَلَّقَتْ عَيْنَا (صفوت) ، وهو يشير بسبَّابته ، قائلاً :

- ولكنك تعرفنى جيّدًا ، هوايتى الأولى هى كسر القواعد .. كل القواعد .

وبكل حماس الدنيا ، راح يروى لهم كل ما حدث ..

كله ..

وبكل التفاصيل ..

ولقد زلزلت الرواية كياتهم بحق ..

كل منهما فى اتجاه ..

الزوجة سقطت على أقرب مقعد إليها ، وهى تلهث مبهورة ، وعقلها يرسم صورة رائعة لأطنان الذهب والمجوهرات ، فى حين اتسعت عينا (عاصم) عن آخرهما ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! مستحيل ! مستحيل !

هَزَّ (صفوت) رأسه فى قوة ، هاتفًا :

- ليس مستحيلًا .. قلت لك : إننى قد رأيت كل شىء بنفسى .



اندفعت زوجة (عاصم) فجأة ، وأمسكت ذراع (صفوت) فى قوة ..

جلس (عاصم) بدوره على مقعد قريب ، وهو يقول :

- والآن ماذا نفعل ؟!

هتف به (صفوت) فى حماس :

- أهذا سؤال يا رجل .. سنستولى على الكنز كله بالطبع .

رفع (عاصم) عينيه إليه فى ذعر ، هاتفاً :

- نستولى عليه ؟!

قال (صفوت) فى سخرية :

- بالطبع .. هل تصوّرت أننا سنبلغ الصحافة ، ونكتفى بالشهرة والأضواء ، ونترك كل هذه المليارات للدولة .

قلب (عاصم) كفه ، قائلاً :

- أليس من المفترض أنها صاحبة الحق ، فى أى كنز أثرى ،

يكشف على أرض (مصر) ؟!

هتف (صفوت) مستنكراً :

- صاحبة الحق ؟! أى حق ؟! الحكومة أيضاً تسعى للاستيلاء

على كل ما يعثر عليه أى مخلوق ، ولكن بقانون .. نوع من

السرقّة المغلفة بشرعية زائفة .. هل تعلم : لقد أخبرنى والدى

أن هذا القانون السخيف لم يكن له وجود ، حتى تم كشف

مقبرة (توت - عنخ - آمون)^(*)، وعثر فيها (هوارد كارتر) على كنوز رهيبة .. ففى ذلك الحين كان القانون يمنح المكتشف نصف ما يعثر عليه ، ولكن الحكومة أرادت الاستئثار بالكنوز كلها ، فألغت القانون ، ووضعت القانون الجديد ، الذى يمنحها كل الحق ، فى كل ما يكشف على أرضها^(**).

قال (عاصم) فى عصبية :

- إنها ليست مجرد كنوز يا (صفوت) .. إنها آثار .. تاريخ لا يمكن للوطن أن يتنازل عن نصفه ، أو حتى عن قطعة واحدة منه للآخرين .

حدّق (صفوت) فيه ، مغمغماً :

- تاريخ ؟!

ثم انطلقت من حلقه مرة أخرى فقهقه عالية مدوية ، والتفت إلى زوجة (عاصم) ، هاتفاً فى سخرية عصبية :

(*) (توت - عنخ - آمون) : ملك مصرى فرعونى قديم (١٣٤٧ - ١٣٣٩ ق . م) ، من الأسرة الثامنة عشرة ، زوج ابنة (اخناتون) ، تم تتويجه فى

العقد الثانى من عمره ، ومات دون العشرين ، تنصّل من ديانة (آتون) ، وعاد إلى (طيبة) والإله (آمون) ، ولقد موّل اللورد (كارنرفون) حملة للبحث عن مقبرته ، التى عثر عليها (هوارد كارتر) سليمة ، بكل تحفها وكنوزها ،

(المعروضة حالياً فى المتحف المصرى) ، عام ١٩٢٢ م .

(***) حقيقة .

- هل رأيت ما يفعله زوجك ، وسمعت ما يقوله يا (دينا) ..
أخبره عن كنز أغنى رجل عرفه التاريخ ، فيحدثني عن الدولة
والتاريخ ، وحقوق الوطن .

غمغت في حلق :

- أحمق !

التفت إليها (عاصم) بغضب شديد ، فاستدركت في سرعة ،
وهي تنكمش في مقعدها :

- من لا يظفر بفرصة كهذه .

انعقد حاجبا (عاصم) بشدة ، وبدا لحظة وكأنه منهمك في
تفكير عميق ، قبل أن يغمغم في عصبية :

- إنكم تعرضون على مخالفة القانون .

مال (صفوت) نحوه ، قائلاً بصوت أشبه بالفحيح :

- بل نعرض عليك فرصة لا تتكرر ، لتصبح بضربة واحدة
أغنى رجل في العالم .

وبعينين برقنا كاللهب ، مالت نحوه زوجته ، مضيفة :

- ذهب ومجوهرات بمليارات يا (عاصم) .. أمر لم يحلم به
حتى أكثر المتفائلين في الكون .

أرداد انعقاد حاجبي (عاصم) طويلاً ، وبدا على ملامحه
قلق بالغ ، فربّنت زوجته على كتفه ، هامسة في ضراعة :
- أرجوك يا (عاصم) .. أرجوك .. لا تضيع فرصة كهذه
أبداً .

ثم ألقت رأسها على كتفه ، وتفجّرت الدموع من عينيها
أنهاراً ، وهي تقول :
- أرجوك .

انفطر قلبه لحزنها ودموعها ، ورفع يدها يتحسّس شعرها
وخدها في حنان ، وبدا من ملامحه أن يلين للفكرة ، ويلين ،
و

« ولكن لماذا ؟! » ..

نطق (عاصم) السؤال فجأة ، وهو ينتفض في مجلسه ،
ويحدّق في وجه (صفوت) ، فتراجعت زوجته (دينا) ، قائلة
في قلق :

- لماذا ماذا ؟!

هباً (عاصم) من مقعده بحركة حادة ، وهو يلوح بسبّابته
في وجه (صفوت) ، قائلاً :

- لماذا أخبرتنا بهذا ؟! لماذا لم تحتفظ بالكنز والسر لنفسك ؟!

بُهِتَ (صفوت) للسؤال ، وهتف :

- ماذا تقول يا (عاصم) ؟! إنك شريكى ، وصديق عمرى ،
و ...

قاطعته (عاصم) فى صرامة :

- لماذا يا (صفوت) ؟!

تنهَّد (صفوت) ، وهو يحاول السيطرة على أعصابه ،
وهزَّ رأسه ، قائلاً :

- هناك ذهب كثير .. كثير جداً .. أطنان من الذهب ، تكفى
الكل ، و ...

قاطعته (عاصم) بصرامة أكثر :

- لماذا يا (صفوت) ؟!

ازدرد (صفوت) لعابه ، وتردَّد بضع لحظات ، قبل أن يقول
فى عصبية :

- الواقع أننى أحتاج إلى معاونتك .

انعقد حاجبا (عاصم) بشدة ، وهو يقول :

- هذا جواب أكثر إقناعاً .

ثم عاد يجلس على مقعده ، متطلِّعاً إلى (صفوت) بنظرة
نارية ، جعلت هذا الأخير يهتف ، فى عصبية أكثر :

- وماذا فى هذا ؟! إننا شريكان .. أليس كذلك ؟!

مال (عاصم) إلى الأمام ، وسأله بنفس الصرامة :

- ما العقبة التى تحول بينك وبين ذلك الكنز المزعوم
يا (صفوت) ؟!

أجابه فى توتر :

- ليس مزعوماً يا (عاصم) .. إنه كنز حقيقى .. لقد رأيته
بنفسى .

هتفت (دينا) فى لهفة جشعة :

- هل أحضرت شيئاً منه معك يا (صفوت) ؟! دعنى أر
ما أحضرته .. أرجوك .

ابتسم (صفوت) ابتسامة مرتبكة ، وهزَّ كتفيه فى توتر ،
فنقل (عاصم) بصره بينه وبين زوجته ، قبل أن يقول :

- من الواضح أن لسؤالينا جواباً واحداً يا (صفوت) .

زفر (صفوت) ، قائلاً :

- هذا صحيح .

سأله (عاصم) مرة أخرى ، ولكن باهتمام فضولى :

- ما الذى يحول بينك وبين الكنز ؟!

هزَّ (صفوت) كتفيه مرة أخرى ، وقلب كتفيه فى توتر

ملحوظ ، والتردد يملأ كل خلجة من خلجاته ، ثم لم يلبث أن حسم أمره فجأة ، وأجاب فى عصبية :

- الأفاعى !؟

تراجعت (دينا) بحركة حادة ، فى حين هتف (عاصم) بدهشة بالغة :

- الأفاعى !؟ أية أفاع .. المفترض أن هذا المكان مغلق منذ آلاف السنين ، فكيف بلغته تلك الأفاعى ، وما الذى تحيا عليه !؟

هزّ (صفوت) رأسه فى قوة ، وقال :

- لا تسألنى عن كل هذا ، فأنت خبير الأفاعى لا أنا .

هتف (عاصم) بدهشة :

- أنا !؟

أجابه فى سرعة :

- بالطبع أنت .. هل نسيت أنك خريج كلية العلوم ، قسم البيولوجيا (*) !؟ المفترض أنك أكثر من يمكنه التعامل مع الأمر .

(*) البيولوجيا : علم الأحياء ، وينقسم إلى علمى النبات والحيوان ، ويتضمن كل من هذين القسمين علوم الخلية ، والأنسجة ، والتشريح ، والمورفولوجيا ، والفسولوجيا ، وعلم الأجنة ، وعلم البيئة ، وعلم الوراثة والتطور ، وعلم الحفريات ، وعلم التصنيف ، وأضيف إليها حديثاً علم الميكروبيولوجيا (الكائنات الدقيقة) ، والبيولوجيا الحيوية ، ولقد كان لكشف المجهر فى القرن السادس عشر أكبر الأثر فى تطور علم البيولوجيا .

اتعقد حاجبا (عاصم) طويلاً ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- ماذا وجدت هناك بالضبط يا (صفوت) !؟

أجابه فى توتر :

- فى البداية ، بدا كل شىء عادياً ، حتى إننى خرجت من تلك الفجوة ، واندفعت نحو الكنز ، وكلى لهفة لالتقاط أى شىء منه .

وصمت لحظة ، ازدد خلالها لعباه فى صعوبة ، قبل أن يضيف :

- ثم فجأة ، ظهرت تلك الأفاعى .. عشرات منها ، برزت من كل صوب ، واتجهت نحوى فى مشهد مخيف ، جعلنى أراجع مذعوراً ، وأقفز مرة أخرى فى الفجوة الممتلئة بمياه البحيرة ، وما إن فعلت حتى توقفت كلها ، وعادت بسرعة مدهشة إلى جحورها ، وكأن كل مهمتها هى حماية الكنز فحسب .

اتسعت عينا الزوجة فى ارتياح ، فى حين غمغم (عاصم) مبهوراً :

- رباه ! أهذا صحيح !؟

أجابه (صفوت) فى انفعال :

- نعم .. صحيح .. هذا ما حدث بالضبط ، ولقد كررت المحاولة ثلاث مرات ، وفي كل مرة يحدث الأمر ذاته .. هجوم عندما أقترب من الكنز ، وتراجع فور ابتعادي عنه .

اتعقد حاجبا (عاصم) فى شدة ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يغمغم :

- يا للغرابة !

ازدرد (صفوت) لعابه فى صعوبة ، وقال فى توتر :

- ولكن هناك حل حتماً لهذا .. أليس كذلك ؟! أليس كذلك يا (عاصم) ؟!

هتفت (دينا) فى حماس مصطنع :

- بالطبع هناك حل .. (عاصم) عبقرى ، فى معالجة هذه الأمور .

أجابها (عاصم) فى صرامة :

- لا شأن للعبقرية بالأمر .

ثم نهض ، مستطرداً فى حزم ، وهو يتجه نحو مكتبته ، مضيقاً :

- إنه العلم .

والتقط موسوعة كبيرة من المكتبة ، وهو يسأل (صفوت) فى اهتمام :

- هل يمكنك معرفة نوع الأفاعى التى رأيتها ؟!

أجابه (صفوت) فى سرعة :

- إنها .. إنها ذلك النوع المفلطح الرأس .. هل تعرفه ؟! ذلك الذى نراه فى الأفلام الهندية .. النوع الذى يخرج راقصاً من السلة ، عندما يقوم الفقير الهندى بالنفخ فى مزماره .. هل تعرف ذلك النوع من الأفاعى ؟!

قلب (عاصم) صفحات الموسوعة بضع لحظات ، ثم وضع صورة كبيرة أمام (صفوت) ، قائلاً :



- أتشبه هذه !؟

حدق (صفوت) فى صورة الأفعى أمامه ، قبل أن يهتف :
- بالضبط .. إنها هى .

أوماً (عاصم) برأسه وزفر قائلاً ، وهو يقرأ ما كتبته
الموسوعة :

- آه .. (الكوبرا) .. هذا ما توقعت .. إنها واحدة من
أشرس وأخطر أنواع الأفاعى السامة ، وهى تشتهر بعادة رفع
الجزء الأمامى من الجسم ، ونفخ غطاء الرأس ، ويطلق على
ذلك النوع من الأفاعى اسم (ناجا) (Naja) ، والنوع الموجود
منها فى (الهند) يُعرف باسم (كوبرا المنظار) ؛ لوجود
علامة على ظهرها تشبه المنظار ، و (الكوبرا) فى الشرق
الأقصى و (أندونيسيا) سوداء اللون ، بلا أية علامات ، أما فى
الجزء الاستوائى من (آسيا) فيوجد نوع يعرف باسم الكوبرا
الملك ، وهى من أخطر وأكبر الثعابين السامة فى العالم ،
وطولها يزيد فى بعض الأحيان على ستة أمتار ، أما ثعابين
الكوبرا الإفريقية ، فهى تبصق السم فى وجه أى إنسان أو
حيوان يزعجها ، ولو لم يتم تنظيف هذا السم بماء نظيف
بأسرع وقت ، فهو يؤدى إلى إصابة دائمة ، قد تصل إلى
العمى الكامل .. أما النوع الصغير منها ، والذي يعرف باسم
(ناجا هاجى) ، فهو النوع نفسه ، الذى انتحرت به الملكة
(كليوباترا) ، عام ثلاثين قبل الميلاد .

اتعقد حاجبا (صفوت) ، وهو يهز رأسه ، قائلاً :

- النوع الذى رأيته لم يكن صغيراً ، ولم يبلغ الأمتار الستة
بالتأكيد .. ثم إنه ليس أسود اللون ، وليست به علامات
المنظار على رأسه .

وافقه (عاصم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- بالطبع ، فالنوع الذى ستجده هنا هو النوع المصرى
(ناجا هاجى) (Naja Haje) ، فى الطور الناضج منه ، وهو
يبلغ ما بين المتر والمتر ونصف المتر طولاً .

هتف (صفوت) :

- بالضبط .

ثم تساعل فى لهفة ضارعة :

- هل توجد وسيلة للخلاص منه !؟

صمت (عاصم) بضع لحظات ، وهو يعيد الموسوعة إلى
المكتبة ، قبل أن يقول فى حزم :

- هذا يحتاج إلى استشارة أحد أساتذتى القدامى .

هتفت زوجته :

- أيعنى هذا أنك ستشترك معنا ، فى عملية انتشال كنوز
(قارون) ، من قاع البحيرة !؟

التفت إليها ، قائلاً فى دهشة :

- معكما ؟!

ارتبكت ، قائلة :

- نعم .. أقصد مع (صفوت) .

التقط نفساً طويلاً عميقاً ، وأدار الأمر فى رأسه على كل الوجوه ، قبل أن يقول فى حسم :

- بالطبع .

زفر (صفوت) فى ارتياح ، وأغلق عينيه فى قوة ، فى حين أطلقت (دينا) ضحكة عالية ، تموج بالفرحة والسعادة ، وقفزت تتعلق بعنقه ، وتغمر وجهه بالقبلات ، وقد نسيت كل شيء عن الزلزال ..

كل شيء .

٢ - البحث ..

ارتسمت ابتسامة كبيرة ، على وجه الدكتور (محسن الغندور) ، أستاذ ورئيس قسم البيولوجيا فى الجامعة ، وهو ينهض لمصافحة تلميذه القديم (عاصم) ، قائلاً فى سعادة :

- صباح الخير يا (عاصم) .. كيف حالك يا ولدى ، وكيف حال شركتك ؟! لماذا لم نرك منذ فترة طويلة ؟!

غمغم (عاصم) فى خجل :

- مشاكل الدنيا فحسب .

ابتسم الدكتور (محسن) ، وأشار إليه بالجلوس ، وهو يقول :

- لا يمكنك أن تتصور مدى سعادتى برؤيتك .. لقد كنت طالباً نجيباً متفوقاً ، وكلنا كنا نتوقع لك مستقبلاً باهراً ، لولا ...

بتر عبارته فى شيء من الخجل ، فتابع (عاصم) فى مرارة :

- لولا إصرار العميد على تعيين ابن شقيقته كمعيد بالقسم ، وهو المنصب الذى كان ينبغى أن أحصل عليه أنا ، بحكم كونى الأول على الدفعة .

تنهّد الدكتور (محسن) ، مغمغماً :

- لعلك تذكر أننا قد وقفنا جميعاً إلى جوارك حينذاك .

قلب يده ، قائلاً :

- وماذا كانت النتيجة ؟! ها هو ذا يحتل المنصب ، الذي كنت أستحقه أنا .

ثم هز كتفيه ، وابتسم ، مستطرداً :

- وربما كان هذا من حسن الحظ ، فلولا لما أصبحت صاحب شركة استيراد وتصدير .

ضحك الدكتور (محسن) ، وكأنما انزاح عن كاهله حمل ثقيل ، وهتف :

- بالضبط ..

ثم مال نحوه ، متابعاً :

- ولكن الواقع أنني أشعر بالقلق عليك ، لأنك شريك لذلك الثعبان (صفوت) .. لقد التقيت به مرتين فحسب ، ولكنني لم أشعر بالارتياح تجاهه أبداً .

غمغم (عاصم) بكلمات غير مفهومة ، ثم سأله مباشرة :

- قل لي يا دكتور (محسن) ، لقد كانت رسالة الدكتوراه التي أعدتها حول أفعى (الكوبرا) .. أليس كذلك ؟!

أوماً الرجل برأسه ، قائلاً :

- بلى .. هل تثير اهتمامك في هذه الأيام ؟!

أجابه (عاصم) في حذر :

- هذا صحيح .. لقد واجهتني مشكلة ما ، وأردت أن أقرأ بعض المعلومات عن أفعى (الكوبرا) .

رمقه الدكتور (محسن) بنظرة عتاب ، قائلاً :

- من الواضح إذن أنك قد نسيت .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

- هل نسيت أنني قد أهديتك نسخة من رسالة الدكتوراه ، عندما كنت طالباً نابهاً ، في عامك الأول بالقسم ؟!

شعر (عاصم) بالخجل ، وهو يغمغم :

- آه .. هذا صحيح .

تذكر ، في هذه اللحظة فقط ، أنه يضع رسالة الدكتوراه ، الخاصة بالدكتور (محسن) ، والتي تحوى كل المعلومات الممكنة عن أفعى (الكوبرا) ، في ركن مهمل بمكتبته ، وتصاعد الخجل في أعماقه ، وهو يشعر بارتباك شديد ، ولسانه عاجز عن قول أى شيء ، حتى إنه هم بالاعتذار والنهوض ، لولا أن دلف رجل وقور إلى الحجرة ، وهو يقول :

- دكتور (محسن) .. هل تذكرت أن ...

بتر عبارته فجأة ، عندما وقع بصره على (عاصم) ،
فابتسم الدكتور (محسن) ، وهو ينهض لاستقباله ، قائلاً :

- (عاصم) .. تلميذ سابق ، وصاحب شركة للاستيراد
والتصدير حالياً .

ثم أشار إلى الوقور ، متابعاً :

- الدكتور (رفعت إلهامى) .. أستاذ التاريخ القديم .. إننا
نتعاون فى رسالة حول أحد المعابد القديمة بالفيوم .

لم يكد يأتى على ذكر (الفيوم) ، حتى سرت فى جسد
(عاصم) ارتجافة خفية ، جعلته ينهض بحركة مبالغ ، ليصافح
الرجل فى حرارة زائدة ، قائلاً :

- فرصة سعيدة يا دكتور (رفعت) .. سعيدة للغاية !

بدت الدهشة على وجهى الرجلين ، وتبادلا نظرة حائرة ،
قبل أن يجلس الدكتور (رفعت) ، قائلاً :

- الأستاذ (عاصم) خريج قسم البيولوجيا أيضاً .. أليس
كذلك !؟

لم يبد على (عاصم) أنه قد سمع السؤال ، وهو يسأل فى
لهفة :

- هل تجرى الكثير من الأبحاث فى (الفيوم) يا دكتور
(رفعت) !؟

مرة أخرى بدا مزيج من الدهشة والحيرة على وجهى
الرجلين ، ثم لم يلبث الدكتور (رفعت) أن تنحنح ، قائلاً :

- إلى حد ما .

سأله (عاصم) فى لهفة :

- وهل امتدت أبحاثك هذه إلى البحيرة !؟

سأله فى دهشة :

- أية بحيرة !؟

أجابه بلهفة أكبر :

- بحيرة (قارون) .

عاد الرجلان يتبادلان نظرة أكثر دهشة وحيرة ، قبل أن
يتساءل الدكتور (محسن) فى حذر :

- وما الذى يثير اهتمامك إلى هذا الحد ببحيرة (قارون)
يا (عاصم) !؟

انتبه (عاصم) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى لهفته الزائدة ،
فتراجع فى مقعده ، وبذل جهداً جهيداً للسيطرة على أعصابه ،
وهو يجيب :

- لا شيء .. لقد قضيت إجازة قصيرة في (الفيوم) ، وسمعت هناك من يشير إلى أن كنز (قارون) مدفون تحت البحيرة .

حدّق الدكتور (محسن) في وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عالية ، قائلاً :

- وهل صدقت هذا ؟!

تنحج الدكتور (رفعت) ، وقال :

- الواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة ، يا دكتور (محسن) .

هتف (محسن) و (عاصم) في آن واحد :

- حقاً ؟!

تنحج الدكتور (رفعت) ، واعتدل في مقعده ، وأشعل غليونه ، قائلاً :

- الواقع أن الأقاويل ، التي تتردد حول وجود كنز (قارون) أسفل البحيرة ، عديدة وقديمة للغاية ، ف (الفيوم) كانت عاصمة الدولة الوسطى ، وهناك الكثير من الأهرامات والقصور في المنطقة ، وكانت منطقة تموج بالثراء ، في تلك الفترة ، ولقد بنى فيها أكبر القصور على الإطلاق ، وهو قصر (اللابرانت) ، أو (التيه) ، وكانت هذه المنطقة هي المخزن الهائل للقمح والفلل ، في عصر الرومان ، وقديماً ، في عصر (أمنمحات

(الثالث) ، كانت البحيرة مخزناً كبيراً للمياه ، وأقام هو فيها مشروعاً زراعياً ضخماً ، ومع دخول الإسلام ، اختلطت الأفكار الدينية بالأساطير والحكايات الشعبية للمنطقة ، فجاءت قصة (قارون) وكنوزه المدفونة تحت البحيرة ، ولكن التاريخ لا يمكنه حسم ما إذا كان (قارون) قد عاش في هذه المنطقة أم لا (*) ..

قال (عاصم) في اهتمام :

- ولكن هناك قصر يُطلق عليه اسم (قصر قارون) هناك .

هزّ الدكتور (رفعت) رأسه ، قائلاً :

- المؤكد تاريخياً أن القصر ، الذي يُطلق عليه هذا الاسم ، هو معبد (يونيسياس) ، إله الخمر عند الرومان .

ابتسم الدكتور (محسن) ، وقال :

- الأمر كله إذن مجرد خرافات .

هزّ الدكتور (رفعت) كتفيه ، وهو يقول :

- لا يمكنك أن تعتبر السير الشعبية خرافات ، فالقاعدة تقول : إنه لا يوجد دخان بدون نار ، وفكرة وجود كنوز (قارون) أسفل البحيرة ليست مرفوضة تماماً ، بل إنها تستحوذ على

عقول وتفكير العديدين ، منذ الفتح الإسلامى لـ (مصر) ،
ولقد جرت عدة محاولات للبحث عنها بالفعل ، ولكنها لم تسفر
عن شيء ، ولكن هذا لم يمنع السائحين من التساؤل والبحث ،
ولم يمنع العشرات من دراسة الفكرة ، وتحليلها ، وإصدار
مؤلفات وأبحاث عنها^(*).

تراجع (عاصم) فى مقعده بارتياح كبير ، وهو يغمغم :
- إذن فهناك ظلٌ للحقيقة فى الأمر كله .
أوماً الكتور (رفعت) برأسه ، قائلاً :
- بالتأكيد .

وهنا .. هنا فقط شعر (عاصم) ، بارتياح كبير ..
(صفوت) لم يكن واهماً إذن ..
إنها حقيقة ..

كنوز (قارون) هناك ..

أسفل البحيرة ..

وكلها فى انتظار من ينتشلها ..

ومن يتحوّل بفضلها إلى أغنى رجل فى (مصر) ..

(*) حقائق علمية وتاريخية وواقعية .

بل فى العالم أجمع ..

بلا منازع ..

رقصت كل ذرة فى كيان (صفوت) طرباً ، وهو يتوقف
بسيارته أمام منزله ، بعد أن قضى نهاره كله فى إعداد كل
ما ينبغى ، للفوز بكنوز (قارون) ..

استأجر سيارة نقل كبيرة مغلقة ، ومخزناً فى أول طريق
(مصر - الإسكندرية) الصحراوى ، لينقل إليه الذهب
والمجوهرات ، ووضع تفاصيل الخطة بالكامل ..

لقد حدّد الموقع الذى غاص فيه ، ويمكنه أن يبلغه مع
(عاصم) ليلاً ، ومعهما أسطوانات الأكسجين وثياب الغوص ،
وبعد أن يجد (عاصم) وسيلة لإبعاد الأفاعى السامة ، سيتعاونان
معاً لنقل الكنز إلى سيارة النقل الكبيرة ..

كل ليلة يمكنهما نقل أقصى ما يستطيعان ، إلى ذلك المخزن ،
فى أول الطريق الصحراوى ..

وبرقت عيناه عن آخرهما ، فى جشع بلا حدود ..

إنهما سيحتاجان إلى شهر على الأقل ، حتى يمكنهما نقل
الكمية كلها ..

وبعدها سيصبحان أغنى رجلين فى الدنيا كلها ..

لم يدرك لماذا انقبض قلبه ، عندما بلغ هذه النقطة بالتحديد ؟
لماذا أحس أنه يشاركه مخلوق آخر هذه الكنوز ؟
المفترض أنه هناك أطنان من الذهب والمجوهرات ..
أطنان تكفي ألف رجل ، للعيش في رغد ، لقرن كامل من
الزمان ..

فلماذا يغضبه أن يشاركه فيها أحد ؟

حتى (عاصم) ؟

لم يعترف في أعماقه بأن السبب الحقيقي هو جشعه وطمعه ..
وأنايته ، التي ترفض أن ينعم غيره بما ينعم هو به ..
أنايته ، التي تتجاوز كل حدود العقل والمنطق ..
حاول أن يقاوم ذلك الشعور السخيف ..

حاول ..

وحاول ..

ولكنه لم يستطع ..

كل ما أقنع به نفسه هو أنه مضطر للاستعانة بـ (عاصم) ، حتى
يظفر بكل هذه الكنوز ، ومن حسن حظه أنه لا يوجد ثالث ، أو ...

« أستاذ (صفوت) .. »

قاطعته العبارة فجأة ، فوثب من مكانه ، والتفت إلى صاحبها ،
هاتفًا :

- ماذا تريد ؟

فوجئ أمامه بالنادل (مجدى) ، يبتسم في خبث ، قائلاً :



- معذرة .. هل أفزعك ؟

حدّق (صفوت) في وجهه لحظة ، قبل أن يقول في حدة
ودهشة :

- ماذا تفعل هنا ؟

هزأ (مجدى) كتفيه ، وقال :

- لقد غادرت (الفيوم) فجأة ، وشعرت بالقلق ، فأتيت للاطمئنان عليك .

اتعقد حاجبا (صفوت) ، وهو يسأله فى صرامة :

- أهذا ما تفعله مع كل نزيل بالفندق ؟!

ابتسم (مجدى) ابتسامته الخبيثة ، وهو يقول :

- كلاً بالطبع .

ثم أضاف بلهجة ملؤها الدهاء :

- ولكن لدى سؤال ، كان من الضروري أن أطرحه عليك .

سأله (صفوت) فى حذر قلق :

- أى سؤال ؟!

مال (مجدى) نحوه ، واكتسب صوته الخبيث لهجة شرسة ، وهو يسأل :

- ما الذى عثرت عليه فى البحيرة يا سيد (صفوت) ؟!

انتفض جسد (صفوت) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يردد مذعوراً :

- فى البحيرة ؟!

أجابه (مجدى) ، وقد تحولت لهجته كلها إلى الشراسة :

- نعم يا سيد (صفوت) .. فى البحيرة .. البحيرة التى خرجت منها حاملاً كل اتفعال الدنيا ، وجسدك يرتجف ، ووجهك محتقن ، وكل ذرة فى كيانك متلهفة للعودة إلى الشاطئ .

ظل (صفوت) يحدق فيه لحظة ، قبل أن ينتزع نفسه من ذعره ، ويقول فى عصبية شديدة :

- إبه الزلزال يا رجل .. ألم تشعر به ؟! أعنف زلزال واجهته (مصر) فى الـ ...

قاطعته (مجدى) بضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

- زلزال ؟! محاولة لطيفة بحق يا سيد (صفوت) .

ثم عاد يميل نحوه بشراسة أكثر ، قائلاً :

- ولكنها فاشلة .

قال (صفوت) فى عصبية :

- ولماذا يا هذا ؟! ألم يثر الزلزال فزع (مصر) كلها ؟!

أجابه (مجدى) فى حدة :

- بالطبع ، ولكن الشخص الذى أثار الزلزال فزعه ، سيصعد إلى السطح مباشرة ، وليس بعد اثنتين وعشرين دقيقة كاملة تحت الماء .

امتقع وجه (صفوت) ، واتسعت عيناه مرة أخرى ، وهو يحدث في (مجدى) ، الذى تراجع ، متابعاً فى عنف :

- لقد عثرت على شيء تحت الماء يا سيد (صفوت) .. شيء ربما أظهره الزلزال .. شيء جعلك تقضى كل هذا الوقت ، ثم تصعد وكذلك انفعال ، ولهفة على العودة إلى (القاهرة) ، بأسرع وقت ممكن ، فما الذى عثرت عليه بالضبط .

صمت (صفوت) تماماً ، وهو يحدث فى وجهه ، ولا يجد فى نفسه القدرة على الكلام ، فابتسم (مجدى) فى وحشية ، قائلاً :

- (حمادى) أيضاً شعر بما شعرت أنا به ، ونحن نعيدك إلى شاطئ البحيرة ، وهو يعرف الموقع بالتحديد ، ولن نعدم وسيلة للبحث فى القاع ، حتى ولو استأجرنا بعض الغواصين ، و ...

« لا .. »

قاطعه (صفوت) بصيحة مذعورة ، فابتسم (مجدى) ابتسامة ذئب مفترس ، وهو يقول :

- آه .. إذن فأنت تعرف .

حاول (صفوت) أن يتماسك ، وأن يزدرد لعابه ، عبر حلقة الجاف ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

- ما عثرت عليه لا يهم أحداً يا (مجدى) .. صدقتى .. إنها بعض الآثار القديمة ، وكل ما فكرت فيه هو ...

قاطعه (مجدى) ، مستعيداً شراسته :

- آثار قديمة ؟! هل تسخر منى يا رجل ؟!

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى حدة :

- لقد عثرت على كنز .

اتسعت عينا (صفوت) حتى كادتَا تلتهمان وجهه كله ، وهو يتراجع كالمصعوق ، فابتسم (مجدى) بظفر أكثر ، وهو يقول :

- هذه المنطقة كانت مخزناً رومانياً ، ولا ريب فى أن قاعها يخفى مئات العملات الذهبية القديمة .. لقد عثرت عليها .. أليس كذلك ؟!

تنهّد (صفوت) ، مجيباً ، وعقله يبحث عن خدعة جديدة :

- بلى .. لقد عثرت على صندوق من العملات الذهبية القديمة .

تألّقت عينا (مجدى) ، وهتف فى لهفة ظافرة :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلمه .

أمسكه (صفوت) من ذراعه فى قوة ، وهو يتلفت حوله ،
قائلاً فى توتر :

- اخفض صوتك يا (مجدى) .. اخفضه بالله عليك .
ثم جذبته ، مستطرداً :

- تعال .. سنتحدث فى منزلى .. هذا أكثر أمناً .

تبعه (مجدى) ، وهو يقول فى صرامة :

- سنحصل على أنصبة متساوية .. أنت و (حمادى) وأنا ..
هذا شرطنا .

أجابته (صفوت) ، وهو يسرع إلى شقته :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

نطقها ، وعقله يراجع الموقف كله ، ويبحث عن وسيلة
للخلاص من ذلك المأزق ، وللتخلص من تلك المشكلة ..

صحيح أن كنوز (قارون) هائلة ، إلى حد لا يمكن أن
يتخيلها أحد ..

ولكنه لن يسمح بأن يحصل ذلك المأفون على جزء منها
بهذه البساطة .

لن يسمح أبداً ..

مهما كان السبب ..

سرت موجة عنيفة من التوتر والانفعال ، فى جسد (دينا) ،
زوجة (عاصم) ، وهى تصعد فى درجات سلم منزل (صفوت) ..

كان من الواضح ، من شحوب وجهها وزيف عينيها ، أنها لم
تنم لحظة واحدة ، منذ أخبرهما (صفوت) بأمر الكنز ..
كنز (قارون) ..

لم تنعم بلحظة واحدة من النوم ، لتحلم فيها بذلك الكنز
الهائل ، الذى يمكنه أن ينقلها ، فى غمضة عين ، من زوجة
رجل أعمال عادى ، إلى أغنى امرأة فى العالم أجمع ..

ولكنها باتت ليلتها مستيقظة ، تضع الخطوط العريضة لذلك
الثراء ..

فالثراء يلهم المرأة ، بأكثر مما يفعل ألف مرة بالرجل ..

إنه بالنسبة لها أثواب جميلة غالية ، وحلى أصلية ثمينة ،
ومعاطف فراء ، وسيارات فاخرة ، وحتى عمليات تجميل باهظة ،
يمكن أن تمنع عنها شبح الشيخوخة لسنوات وسنوات ..

ولقد حلمت بهذا طويلاً ..

حلمت به عندما تزوجت (عاصم) ، بعد عام واحد من عمر
شركته مع (صفوت) ..

كان جاراً لها منذ وعت عيناها الدنيا ، ويكبرها بخمسة أعوام ،
وترتجف كل ذرة فى كياته حباً ولهفة ، كلما وقع بصره عليها ..

ولكنها لم تبادله الحب أبدًا .

بل وربما لم تعيش في حياتها كلها قصة حب ..

لم يكن لديها الوقت لتفعل ، وهي تخطّط لمستقبلها ، وترسم أحلام طموحها بلا حدود ..

مشكلتها الوحيدة كانت أن جمالها محدود ..

لم يكن بالجمال الذي يمكن أن توقع به شابًا ثريًا ..

أو حتى شيخًا من شيوخ البترول ..

وكان من المستحيل أن تقبل بالزواج من شاب عادي ، لتكافح وتكافح معه ، حتى يذبل شبابها ويفنى ، قبل أن تتمتع بكل قطرة منه ..

ثم أنشأ (عاصم) تلك الشركة مع (صفوت) ..

وخيل إليها أنه سيصبح ، في غضون سنوات قليلة ، رجل أعمال كبيرًا ، وثريرًا .. شابًا ، تحلم بالزواج منه كل فتاة ..

لذا ، فقد أسرعت تلقى شباكها حوله ..

والواقع أن هذا لم يكن يحتاج إلى الكثير من الجهد ، فقد كان (عاصم) غارقًا في هواها بالفعل ..

ولهذا لم يستغرق الأمر طويلًا ..

بعد عام واحد من إنشاء الشركة ، وعندما استقرت الأمور ، تم زفافها إليه ..

وقبل مرور عام آخر ، كانت قد أدركت أن حلمها لم يكن ناضجًا ..

صحيح أنها لم تعان قط من شظف العيش معه ، إلا أنه لم يكن بالثراء الذي توقعته ..

لقد أنفق الكثير والكثير على إنشاء الشركة ، وموعد جنى الأرباح التي تحلم بها ، لم يحن بعد ..

ثم جاءت تلك الأزمة المالية ، التي تسبب فيها (صفوت) .. وتحطمت معها كل أحلامها ..

وكل طموحاتها ..

ثم جاء (صفوت) بخبر الكنز ..

وعادت الأحلام والطموحات ..

بل لقد قفزت إلى ذروة ، لم تبلغها من قبل قط ..

قفزت من أحلام الثراء ، إلى حلم التفوق والسطوة .. والنفوذ ..

فثراء بهذا المقدار الخيالي ، يجلب معه حتمًا القوة والنفوذ ..

وبلا حدود ..

كان قلبها يخفق من فرط الانفعال ، عندما بلغت شقة
(صفوت) ، فوقفت تلهث لحظة أمام الباب فى تردد ..
إنها أول مرة تزوره فيها فى منزله بمفردها ..
وهذا يجعلها متوترة عصبية ..
ولكن من الضرورى أن تلتقى به ..
وحده ..

لذا ، فقد حسمت أمرها ، وضغطت زر الجرس ، ثم التقطت
نفساً عميقاً ، وكأنما تحاول تهدئة أعصابها الثائرة ..
ولم يستجب أحد لرنين الجرس ..
ولكنها شعرت بحركة فى الداخل ..
حركة واضحة ..
متوترة ..

وفى إصرار ، ضغطت الجرس مرة ثانية ..
وثالثة ..
ورابعة ..

وفى عصبية ، هتفت :

- (صفوت) .. لماذا لا تفتح الباب ؟!

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انفتح الباب ، وظهر (صفوت)
على عتبة ، ممتنع الوجه ، زائغ العينين ، مرتجف الشفتين ،
وهو يهتف بدهشة وانزعاج :

- (دينا) ؟!

سألته فى عصبية :

- لماذا لم تفتح الباب مباشرة ؟! هل ..

قفزت الفكرة إلى رأسها بغتة ، فأضافت فى خبث ، وهى
تختلس النظر إلى الداخل :

- هل تستضيف صديقة ما ؟!

هتف فى توتر بالغ :

- مطلقاً .. أنا وحدى تماماً .. من وضع هذه الفكرة العجيبة
فى رأسك ؟

أزاحته عن طريقها ، وهى تقول فى حزم :

- لن تمنع فى دخولى إذن .

لم تكد تلمس صدره ، حتى شعرت بتلك الارتجافة التى
شملت جسده كله ، فسألته فى توتر :

- ماذا هناك يا (صفوت) ؟!

أجابها فى عصبية شديدة ، وهو يغلّق الباب خلفها فى
سرعة :

- لا شيء .. لا شيء ..

رمقه بنظرة شك طويلة ، قبل أن تشعل سيجارتها ، قائلة
فى توتر :

- أراهن على أنك تتساعل عن سر زيارتي لك وحدي ،
بدون (عاصم) ، وعلى هذا النحو المباغت .
ازدرد لعبه ، وألقى نظرة قلقة على المطبخ ، قبل أن يجب
في عصبية :
- هذا صحيح .

نفثت دخان سيجارتها في عصبية مماثلة ، قائلة :

- كان من الضروري أن أتحدث إليك وحدنا .

اختلس نظرة أخرى إلى المطبخ ، متممًا :

- وحدنا ؟!

زفرت في عصبية ، ولوحت بيدها الممسكة بالسيجارة ،
وهي تتحرك في المكان ، قائلة :

- إنني أشعر بالقلق من (عاصم) .

سألها في توتر :

- لماذا ؟!

قالت في حدة ، وهي تنفث دخان سيجارتها في قوة :

- إنه زوجي ، وأنا أعرفه جيدًا .. في أية لحظة يمكن أن
يتراجع عن الموقف ، ويتحدث عن الحق والعدل والقانون ،
وربما اندفع بلا تفكير ، وأفسد العملية كلها .

هز رأسه في قوة ، قائلاً :

- لا .. من المستحيل أن يفعل (عاصم) هذا .

قالت بسخرية عصبية :

- من المستحيل ؟! من الواضح أنك تجهل طبيعته تمامًا ،
على الرغم من صداقتكما الطويلة ..

ثم اكتسبت لهجتها بعض الشراسة ، وهي تضيف :

- إنه ليس طموحًا مثلنا .. كثيرًا ما يفضل الفقر والـ ...
والشرف .

نطقت الكلمة الأخيرة بكل العصبية والسخرية ، فتطلع إليها
بدهشة ، ثم اختلس نظرة أخرى إلى المطبخ ، قبل أن يسألها
بكل التوتر :

- ماذا تقترحين ؟!

برقت عيناها في شدة ، وهي تقول :

- أن نتم العملية ، في أسرع وقت ممكن ، قبل أن أفقد
سيطرتي عليه .

تردد لحظة ، قبل أن يقول :

- يمكننا أن نبدأ الليلة ، ولكن ..

صاحت به في لهفة :

- ولكن ماذا ؟!

اختلس نظرة أخرى إلى المطبخ ، وقال فى عصبية :

- هناك أمور ينبغى أن أعتنى بها أولاً .

انعقد حاجباها فى غضب ، وألقت سيجارتها أرضاً فى عنف ،

وهى تهتف :

- كنت أعلم أنك تخفيها هنا .. فى المطبخ .

قالتها ، واندفعت نحو المطبخ ، فصاح بها فى ذعر :

- لا يا (دينا) .. لا ..

ولكنها بلغت المطبخ ، ودفعت بابه فى قوة ، ثم اندفعت إليه ،

و ...

وتسمرت فجأة فى موضعها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ، بكل رعب وفزع الدنيا ..

وفى أعماقها ، انكتمت صرخة هائلة ..

فما رأيته أمامها كان رهيباً ..

ومخيفاً ..

للغاية .

★ ★ ★

٤ - الدم ..

لم تكن المرة الأولى ، التى يعود فيها (عاصم) إلى منزله ،
فلا يجد زوجته (دينا) ..

ولكنه لم يدر لماذا شعر بالتوتر والانقباض ، فى هذه المرة
بالذات ؟!

ربما لأن كل ذرة من كيانه تعاني الأمرين ، منذ أقبعتته هى
وشريكه بالانضمام إليهما ، فى هذه المغامرة ، غير مأمونة
العواقب ..

إنه واثق من أن (صفوت) لم يشركه ، إلا لأنه يحتاج إلى
معاونته بشدة ..

ولأنه يثق به كثيراً أيضاً ..

يثق بشرفه ..

وأمانته ..

ونزاهته ..

ومع الخاطر الأخير ، انعقد حاجباه فى عصبية ..

يا لها من مفارقة ساخرة ؟!

(صفوت) يحتاج اليوم إلى شرفه وأمانته ونزاهته ، التي طالما سخر منها ، واعتبرها عائقاً أمام طموحه وتفوقه ..

يحتاج إلى شرفه وأمانته ونزاهته ، للقيام بعمل يفتقر إلى أبسط قواعد الشرف والأمانة والنزاهة ..

ولكن المؤسف أنه وافقه ..

واستسلم لتوسلات زوجته ..

ودموعها ..

زفر بكل توتر الدنيا ، وحاول أن يدفن مرارته في أعماقه ، وهو يتجه إلى مكتبته ، ويبحث فيها عن رسالة الدكتوراه ، التي أهداه إياها الدكتور (محسن) ..

من الواضح أنه لم يعد يقرأ كالماضى ..

ها هي ذى الرسالة في موضعها ، كما تركها منذ أكثر من عام ..

لم يلق عليها نظرة واحدة ..

يا للعار !

التقط الرسالة ، وجلس على مقعده المفضل ، يقرأها في

اهتمام ..

ودون أن يدري ، استغرقه الأمر تماماً ..

وراح يلتهم المعلومات في نهم عجيب ..

نهم كاد ينساه تماماً ، بعد أن ترك الجامعة ، وانهك في أعمال الشركة مع شريكه وصديقه القديم (صفوت) ..

وكم شعر لحظتها بالإعجاب ، تجاه الدكتور (محسن) ..

لقد جمع عشرات المعلومات الجديدة والمفيدة ، حول أفعى (الكوبرا) ، وتاريخها القديم ، منذ اتخذها قدماء المصريين آلهة تحمى الملوك ، وأطلقوا عليها اسم (أرايوس) ، وحتى اتخذت منها الأبحاث الطبية الحديثة وسيلة ، لإنتاج بعض العقاقير الطبية ، المضادة لمرض الروماتيزم ، بالإضافة إلى الترياق المضاد لسموم الثعابين(*) ..

وكل هذا بأسلوب مشوق ..

جذاب ..

رائع ..

وعبر دراسة جادة ، قوية ، جمعت كل عادات الأفعى ، وأساليبها ، ونقاط قوتها وضعفها ، و ...

(*) حقيقة علمية .



هتف (صفوت) بالعبارة في خفوت ، وهو يحاول باضطراب تهدئة (دينا) ، التي اتسعت عيناها عن آخرهما ، وراحت ترتجف في عنف ..

وفجأة ، خفق قلبه في عنف ..
واتسعت عيناها عن آخرهما ..
ودون أن يدري ، وجد نفسه يهتف :
- وجدتها .. وجدتها يا (دينا) .
ثم اتبته فجأة إلى أن زوجته لم تعد بعد ..
وأن عقارب الساعة قد تجاوزت الخامسة ..
وبكل توتر الدنيا ، راح يتساءل في أعماقه : ترى أين ذهبت
زوجته ؟
أين ؟
أين ؟

★ ★ ★

« اهدنى يا (دينا) .. أرجوك .. لقد كنت مضطراً .. »
هتف (صفوت) بالعبارة في خفوت ، وهو يحاول باضطراب
تهدئة (دينا) ، التي اتسعت عيناها عن آخرهما ، وراحت
ترتجف في عنف ، ودموعها تسيل كالأنهار على وجهها ،
ولكنها حدقت في وجهه بارتياح ، هاتفة :

- من هذا ؟ من هذا ؟

أجاب بلهجة أقرب إلى الضراعة :

- إنه (مجدى) .. نادل الفندق ، الذى كان بصحبتي ، هو
وصديقه المراكبى ، عندما عثرت على الكنز ..

ارتجفت فى عنف ، قائلة :

- ولكن .. ولكن ..

ثم انفجرت بغتة ، بكل زعر الدنيا :

- ولكنك قتلته .

انتفض جسده كله مع صيحتها ، وهتف بارتياح :

- خفضى صوتك يا (دينا) .. أرجوك .. قلت لك : إننى
كنت مضطراً ..

حدقت فيه مرة أخرى ، فتراجع فى انهيار ، وترك جسده
يسقط على أقرب مقعد إليها ، وهو يدفن وجهه بين كفيه ،
قائلاً : بصوت أشبه بالنحيب :

- لقد ظل يهددنى بكشف أمر الكنز ، وإبلاغ السلطات ،
وإفساد العملية كلها ..

هتفت :

- كان يمكنك أن تخذعه .. أو ترشوه .

صاح فى مرارة :

- لقد حاولت .

ثم عاد إلى نحيبه ، مضيفاً :

- ولكننى فشلت .. لقد حاولت إقناعه بأن كل ما عثرنا عليه
مجرد صندوق ، يحوى ألف قطعة ذهبية ، من العملات
الرومانية القديمة ، وأنا سنمنحه وزميله نصيبهما منه ، ولكنه
رفض تماماً ، وأصر على أن يشاركنا زميله الغوص ، لرؤية
كل شيء بنفسه .

اتسعت عيناها ، وهتفت فى زعر :

- لا .. مستحيل !

أوما برأسه ، قائلاً :

- هذا ما قتلته لنفسى ، وما جعلنا نشتبك فى عنف .. لقد
حاول أن يقتلنى .. وكنت .. وكنت ... كنت أدافع عن نفسى .

حدقت فيه لحظة ، ثم هزت رأسها فى قوة ، مرددة :

- مستحيل ! مستحيل أن يفسد خطتنا ، وينسف أحلامنا ..
مستحيل !

نهض من مقعده ، واتجه نحوها ، قائلاً فى لهفة :

- أرايت أنني كنت على حق ؟!

نقلت بصرها بينه وبين المطبخ ، والجثة مهشمة الرأس ،
التي تبدو من بابه المفتوح ، وتساءلت بصوت مرتجف :

- ولكن ماذا سنفعل به ؟!

أراحه أن استخدمت صيغة الجمع في سؤالها ، فقال في
سرعة :

- لقد فكرت في الموقف جيدًا .. إنني أقيم وحدي ، وعندى
مبرد ضخم ، ولقد أحضرت المنشار الكهربى بالفعل ، و ...

قاطعته في ارتياح :

- رباه ! فيم تفكر بالضبط يا (صفوت) ؟ هل ..

قاطعها هو هذه المرة :

- هذا هو الحل الوحيد ..

هتفت ، وهى تشيح بوجهها ، وتغلق عينيها فى قوة :

- يا للبشاعة !

هز رأسه ، قائلاً :

- الرجل مات بالفعل يا (دينا) ، ولا يضير الشاه سلخها بعد
ذبحها .. ثم إنه من المستحيل تمامًا ، فى مدينة مزدحمة

ساهرة كمدينة (القاهرة) ، أن ننقل جثة كاملة من عمارة
سكنية ، فى شارع رئيسى ، ولكن لو تم تقطيعها إلى أجزاء
صغيرة ، وتخزينها فى مبرد كبير ، فيمكننا ، بوساطة حقيبة
كبيرة ، أن ...

قاطعته فى حدة :

- كفى .. لا أريد سماع هذا ..

تطلع إليها لحظة فى صمت ، ثم تراجع فى بضع إلى مقعده ،
قائلاً فى حزم :

- فليكن .. سأتولى أمره بنفسى .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

- ولكنك ستعاوينينى على التخلص من الآخر ..

هتفت مذعورة :

- الآخر ؟!

أجابها فى صرامة :

- نعم .. المراكبى .. (حمادى) .. لقد اتصل به (مجدى) من
هنا ، وطلب منه أن ينتظرنا ، عند مدخل مدينة السادس من
أكتوبر ، فى تمام منتصف الليل ، ويمكننا أن نتخلص منه هناك .

صرخت مذعورة :

- مستحيل !

قال فى شراسة :

- لا يوجد مستحيل ! لقد تورطنا فى الأمر بالفعل ، ولا يمكن أن نخسر كل شيء بعد هذا .

هزّت رأسها فى قوة ، هاتفة :

- مستحيل ! مستحيل !

قال بشراسة أكبر :

- لو أننا تركنا المراكبى ، فسيزعجه عدم حضور النادل ، وستراوده الشكوك والمخاوف ، وربما يبلغ الشرطة بالأمر .. بل إنه سيفعل حتماً .

ارتجفت شفتاها ، واتسعت عيناها فى ارتياح ، وهى تحديق فى وجهه ، فتابع فى صرامة وحشية :

- لا بد من القضاء عليه يا (دينا) .. بأى ثمن .

ارتجف جسدها كله مع شفتيها ، وهى تقول :

- ولكن .. ولكن ما الذى سيمنع البوليس من كشف أمرنا لو فعلنا ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

- لا توجد وسيلة وحيدة لربطنا بالأمر .. المفترض أننا لا نعرف ذلك المراكبى ، ولم نلتق به أبداً من قبل .. حتى المرة الوحيدة ، التى التقيت به فيها ، كان اللقاء خفياً ، غير قانونى ، ولم يعرف به سوى (مجدى) .. ذلك الذى يرقد جثة هامدة فى المطبخ .

أدارت عينيها تحديق مرة أخرى فى جثة النادل .. قبل أن تقول فى ارتياح :

- و (عاصم) .. ماذا عن (عاصم) ؟!

هتف مستكراً :

- هل تصوّرت أنه سيوافق على الاشتراك معنا ، فى عمل كهذا ؟!

صاحت مذعورة :

- لا .. ولا حتى أن يعلم بحدوثه .

ثم عاد صوتها ينخفض ، متابعة :

- ولكن كيف سأقتعه بخروجه فى منتصف الليل وحدى ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، ونهض من مقعده ، وراح يدور فى المكان بتوتر ، قبل أن يتوقف ، قائلاً :

- عندي الوسيلة .. سأعطيك عقاراً منوماً ، يكفى قرص واحد منه ، ليغرق فى سبات عميق لساعتين أو ثلاث ، وهى كل ما نحتاج إليه لنتم عملنا .

ارتجفت من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى تقول :
- سأحاول يا (صفوت) .. سأحاول .

صاح بها فى صرامة :

- لا مجال للتردد .. إما هم أو نحن ..

ثم عاد يميل نحوها ، وهو يخرج من جيبه علبة الحبوب المنومة ، مضيقاً فى شراسة :

- إما الثراء والنفوذ والقوة ، أو الخراب والسجن والفقر ..
اتخذى قرارك .

خفضت عينيها لحظة ، وعاد جسدها يرتجف كريشة فى مهب الريح ، وهى تدير عبارته الأخيرة فى رأسها ..

إما الثراء والنفوذ والقوة ..

أو الخراب والسجن والفقر ..

ولم يكن القرار صعباً أو عسيراً ..

لذا ، فقد مدت يدها ، والتقطت العلبة من بين أصابعه ، واحتوتها فى قبضتها فى قوة ، وعبارة أخرى تتردد فى رأسها بقوة ..

إما هم أو ...

أو نحن .

وانقبضت أصابعها على علبة الدواء المنوم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

هباً (عاصم) من مقعده ، واندفع نحو زوجته بكل لهفة الدنيا ، فور دخولها إلى المنزل ، وهتف :

- رباه ! (دينا) أين كنت ؟! لقد بحثت عنك فى كل مكان .

كانت شاحبة ، زائفة ، مرتجفة ، وهو يحتويها فى صدره ، فهتف بارتياح :

- ماذا حدث ؟!

ارتجف صوتها بشدة ، وهى تقول :

- إنه .. إنه حادث سيارة .

هتف بدهشة :

- ولكن السيارة كانت معي أنا !

أجابته ، وهى تدفن وجهها فى صدره ، حتى لا يقرأ الكذب فى عينيها :

- إنها سيارة أجرة .. السائق صدم شخصاً و ... وقتله .. كان مشهد الدم بشعاً .. بشعاً بحق .

انهمرت الدموع من عينيها ، وهى تستعيد مشهد جثة (مجدى) ، الملقاة فى المطبخ ، مما أضفى على انفعالها صدقاً وواقعية ، جعلاه يحتويها بين ذراعيه فى حنان مشفق ، وهو يقول :

- رباه ! يالها من تجربة ! هل .. هل احتاجوا إلى شهادتك ، فى قسم الشرطة ؟

بكت أكثر ، وهى تجيب :

- نعم .. لقد ذهبت إلى هناك ، وقضيت الوقت كله ، حتى حصلوا على أقوالى ، وسمحوا لى بالانصراف .

قال فى أسف :

- ولماذا لم تحاولى الاتصال ؛ لأرسل إليك المحامى على الأقل ؟!

تردّدت لحظة ، ثم قالت :

- قالوا إن الأمر لا يستحق هذا ، ثم .. ثم إنك لم تبّع لى هاتفاً محمولاً بعد .

ثم انفجرت باكياً فى عنف ، وراحت تضرب صدره بقبضتيها ، هاتفاً :

- لماذا لم تفعل ؟! لماذا ؟! لماذا ؟!

ضمها إليه فى حنان ، وربّت عليها ، قائلاً :

- لقد انتهى الأمر يا حبيبتي .. كانت تجربة بشعة ، ولكنها لا تستحق كل هذا .

هتفت مفرغة كل انفعالها :

- هل شعرت بذلك الزلزال الآخر ؟! لقد حدث وأنا داخل قسم الشرطة .. لقد تصوّرت أن القسم سينهار على رؤوسنا ، وكنت خائفة .. خائفة جداً .

تنهّد ، قائلاً :

- إنه ليس زلزالاً .. إنه مجرد تابع للزلزال .

هتفت :

- ولكن المنازل يمكن أن تنهار معه ، وتدفننا تحتها أحياء .

شعر بالشفقة عليها ، مع ذلك الخوف الرهيب ، الذى يرتجف معه جسدها كله ، وحاول أن يجد وسيلة لتهديتها ، فلم يجد أمامه سوى أن يهتف فجأة :

- لقد عثرت على الوسيلة .

أبعدت رأسها عن صدره ، لتسأله في حذر :

- أية وسيلة ؟!

أجاب في حماس :

- وسيلة إبعاد أفاعى (الكوبرا) عن الكنز .

كانت وسيلته ناجحة للغاية ، فقد جفت دموعها بغتة ، ورقص قلبها في صدرها ، وهى تهتف فى لهفة :

- حقاً ؟!

أجابها فى حماس حقيقى ، وهو يقودها فى رفق إلى الأريكة :

- نعم .. حقاً .. الدكتور (محسن) تحدث ، فى رسالة دكتوراه عن أفعى (الكوبرا) ، عن عشب برى ، ينمو فى صحراء (مصر) ، فى منطقتى (سوهاج) و (قنا) ، له رائحة خاصة ، تنفر منها أفعى (الكوبرا) ، والبدو هناك يستخدمونه لإبعادها ، ومنع اقترابها من خيامهم فى أثناء النوم (*) .

ارتجف صوتها من فرط الانفعال هذه المرة ، وهى تسأله :

(*) حقيقة .

- وهل .. هل يمكننا الحصول على ذلك العشب ؟!

هتف بابتسامة كبيرة :

- بالتأكيد .

وجدت نفسها تقفز فجأة من مقعدها ، وتصفق فى حماس ، صائحة :

- رائع .. عظيم .

ابتسم هو ابتسامة كبيرة ، فى حين شعرت هى بالدهشة ، مع كل هذا الحماس ، حتى إنها قاومت بهشدة ، لتسأله :

- ومتى يمكننا الحصول عليه ؟!

اعتدل ، مجيباً :

- لقد اتصلت بالدكتور (محسن) منذ ساعة تقريباً ، وأقنعت أنه أقوم ببضعة أبحاث ، حول هذا العشب ، وأنهى احتاج إلى كمية كبيرة منه ، كمحاولة لفتح أسواق تصديرية له فى الخارج ، ولقد تحمس جداً للأمر ، وأخبرنى أنه سيتصل بصديق له يقيم فى (الأقصر) ، ليحضر لنا أكبر كمية ممكنة من العشب ، قبل مساء الغد .

هتفت فى لهفة :

- أيعنى هذا أننا نستطيع القيام بالعملية مساء الغد ؟!

اتعقد حاجباه في شدة ، وهو ينهض ، قائلاً في عصبية :
- بهذه السرعة .

كاد قلبها يهوى بين قدميها ، من فرط القلق ، وهي تقول :
- السرعة واجبة ، في مثل هذه الأمور .
قال في حدة :

- وما الداعي إليها ؟! الكنز هناك منذ آلاف السنين ، فما الذي يجعل استخراجه عاجلاً إلى هذا الحد ؟
تضاعف قلقها وتوترها ، وحاولت إقناعه في لهفة ، وهي تقول بنعومة مصطنعة :
- ربما يكشفه غيرنا .
قال في حلق :

- ما من أحق سواتنا ، يغوص في بحيرة كهذه ؟!
أدركت أن رصاصتها قد طاشت هذه المرة ، ولم تشأ أن تخبره بما فعله شريكه ، حتى لا يصاب بالذعر ، ويفر من العملية كلها ، لذا فقد راح عقلها يبحث في لهفة عن مبرر آخر ، ثم لم تلبث أن هتفت :

- لقد أخبرتنى ليلة أمس ، أن سبب وجود تلك الفجوة في

القاع ، هو أن ضغط الهواء المحتبس داخلها يمنع الماء من إغراقها ، مما حفظها جافة ، تحت البحيرة ، طوال كل هذه السنين .

أجاب في حذر :

- إنها نظرية علمية سليمة ، والغواصات القديمة جداً كانت أشبه بناقوس مقلوب ، يمنع الهواء بداخله ارتفاع سطح الماء .
هتفت :

- عظيم .. ما الذي يمكن أن يحدث إذن ، بعد أن انفتح ذلك الشق ، في قاع البحيرة ؟! أليس من المحتمل أن ينفذ الهواء ، ويرتفع سطح الماء داخل الفجوة ، فيغرق كل شيء ؟!

اتعقد حاجباه في شدة ، وهو يدرس هذا الاحتمال ، قبل أن يغمغم :

- هذا محتمل بالتأكيد .. الاحتمال نفسه هو الذي منغى من استخدام الدخان لطرد الأفاعي ، فقد خشيت أن تلتهم النيران كل الهواء في الفجوة .

قالها ، ثم التقط نفساً طويلاً في عصبية ، مستطرداً :

- فليكن .. دعينا نفعلها مساء الغد .

برقت عيناها في ظفر ، وهي تهتف :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنك لن تخذلنى أبداً .

وفى نعومة أفعى ، طبعت على خده قبلة دافنة ، فى نفس اللحظة التى داعبت فيها علبة الأقراص المنومة فى جيبها ، ثم لم تلبث أن تراجعت بابتسامة كبيرة ، قائلة :

- والآن دعنى أعد لك كوباً من الشاي .. كوباً يختلف عن كل ما شربته فى حياتك .

قالتها ، واتسعت ابتسامتها ، وصارت أكثر شبهاً بابتسامة الأفعى ..

أفعى (الكوبرا) ...

المصرية ..

★ ★ ★

« هل ظهر مفعول الأقراص بسرعة ؟! »

ألقى (صفوت) سؤاله فى اهتمام ، وهو ينطلق بسيارته ، فى طريق (الفيوم) ، قبيل منتصف الليل بربع الساعة ، فزفرت (دينا) فى توتر ، وهى ترتدى قفازها الجلدى ، مغممة :

- (عاصم) لا يتناول أية أدوية أو عقاقير .. إنه حتى لا يدخن ، لذا فقد استغرق فى نوم عميق ، بعد أقل من الساعة .. إنه حتى لم يكمل كوب الشاي .

تنهد مغمماً :

- عظيم .

جمعهما الصمت لثلاث دقائق كاملة بعدها ، وكل منهما غارق فى أفكار مختلفة متضاربة ، ثم لم يلبث هو أن قطع هذا الصمت ، قائلاً :

- هل ارتديت قفازك ؟!

أجابته فى عصبية :

- نعم .. أشعر الآن أننا اثنان من القتلة المحترفين .

قال فى صرامة :

- للضرورة أحكام .

تمتمت فى خفوت شديد :

- أعلم هذا .

وصمتت لحظة أخرى ، ثم سألته فى توتر بالغ :

- أأنت واثق من أنه سيأتى وحده ؟!

أجاب ساخراً :

- لست أظنه بالحمافة الكافية ، ليضيف إلى القسمة شريكاً

آخر .

مطت شفتيها دون تعليق ، وحاولت أن تستقر في مقعدها ،
وهي تتطلع إلى ظلام الطريق ، وأخذ ذهنها يسترجع تفاصيل
الخطئة التي وضعها هو ، قبل أن تنتفض فجأة على مقعدها ،
هاتفة :

- لا .. لن يمكنني أن أفعل هذا .

انعقد حاجباه في صرامة شديدة ، وهو يقول :

- بل ستفعلينه .

هتفت ، وكل ذرة في كيائها ترتجف :

- مستحيل ! إنني لم أفعل هذا من قبل قط .

صاح في حدة :

- وهل فعلته أنا ؟! هل كنت قاتلاً محترفاً طيلة عمري ؟!

إنها الضرورة .. ألا يمكنك استيعاب هذا ؟! الضرورة .. أنا لم
أخطئ لقتل (مجدى) ، عندما جاء لابترازى .. لقد حدث
ما حدث ، دون حتى أن أدرك أنه قد حدث .

بكت في حدة ، وهي تهتف :

- ولكننا سنفعلها عمداً هذه المرة .

قال في غضب :

- للضرورة أحكام ..

صاحت :

- ما دمت تؤمن بهذا ، فلماذا لا تفعلها أنت إذن ؟!

صرخ باتفعال هادر :

- لأنه لن يمنحني الفرصة لهذا .. أنت وحدك يمكنك مباغتته ..

هل فهمت الآن ؟!

صرخت بدورها :

- لا .. لا أفهم .

وهنا ضغط فرامل السيارة بكل قوته ، فتوقفت بحركة حادة ،
وأطلقت إطاراتها صريراً مخيفاً ، شق سكون الليل ، واندفع
جسد (دينا) إلى الأمام في عنف ، فصاحت في غضب عصبى :

- لماذا فعلت هذا ؟! كدت تقتلنى .

استدار إليها بكل غضب الدنيا ، هاتفاً :

- اسمعنى جيداً .. إنها ليست لعبة أو مزحة .. إنها لحظة

تقرير مصير .. إما نحن أو هم .. إما الثراء بلا حدود ،

أو السجن لخمس عشرة عاماً على الأقل .. أيهما تفضلين ؟!

امتقع وجهها بشدة ، وهي تحدق في وجهه بارتياح ، فتابع

في صرامة :

- إنه كنزنا يا (دينار) ، و ثراء بهذا الحجم لن يأتي بسهولة ،
أو بالأحلام والتمنيات وحدها .. إنه يحتاج إلى توضيحات ..
الكثير من التوضيحات .

خففت عينيها ، متممة في مرارة :

- أعلم هذا .

التقط نفساً عميقاً ، وهو يتراجع ، قائلاً :

- ثم إنها ضربة واحدة ، تصبحين بعدها أغنى امرأة ، في
العالم كله .. ألا يستحق الأمر هذا ؟!

عضت شفتيها في توتر ، وهي تومئ برأسها إيجاباً ، فتتهدد
في ارتياح ، قائلاً :

- عظيم .

وعاد ينطلق بالسيارة ، مضيقاً في حزم :

- ستهبطين قبل نقطة اللقاء بنصف الكيلومتر كما اتفقنا .

أومأت برأسها إيجاباً ، دون أن تتفوه بحرف واحد ، وذهنها
يسترجع كلماته .

إما نحن أو هم ..

الثراء أو السجن ..

وأدركت عندئذ أنها قد افتحمت بالفعل طريق الدم ..

ولم يعد هناك سبيل للعودة ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

فاستدار بسرعة ..

وصرخ (صفوت) :

- هيا .

وهوت هي بالقائم المعدنى ..

بكل قوتها ..

و ..

« لا .. لا .. » ..

انطلقت الصرخة من حلقها ، وهى تهب فزعة فى فراشها ،
فاتدفع نحوها (عاصم) ، واحتواها بين ذراعيه ، وهو يقول
بحنان مشفق :

- رويدك يا حبيبتي .. رويدك .

وضمها إليه فى دفء ، وهو يهمس فى أذنها :

- أهو كابوس الزلزال مرة أخرى ؟!

بكت على كتفه فى حرارة ، وهى تقول :

- نعم .. إنه هو ..

تنهد فى قوة ، وضمها إليه أكثر ، وهو يقول :

- ماذا أفعل لأنتزع ذلك الخوف من قلبك ؟!

٥ - بريق الذهب ..

« أين (مجدى) ؟! »

هتف (حمادى) المراكبى بالسؤال فى عصبية ، عند مدخل
مدينة (السادس من أكتوبر) ، وهو يفحص سيارة (صفوت)
ببصره فى توتر ..

« لقد فضل البقاء فى (مصر) .. »

« مستحيل ! لقد اتفقتا على أن نلتقى هنا .. »

« لم يعد هذا باستطاعته .. »

« لماذا ؟! »

وهنا ظهرت هى من خلفه ..

برزت من وسط الظلام ، حاملة ذلك القائم المعدنى السميك ..

وقبل أن ينتبه إليها ، كانت قد أصبحت على مسافة متر
واحد منه ، وهو يهتف فى ذعر عصبى :

- أين (مجدى) ؟! ماذا فعلت به ؟!

نظرة عينى (صفوت) جعلته ينتبه إلى وجود شخص ما
خلفه .

لم تجد ما تجيبه به ، فواصلت البكاء على كتفه بحرارة
أذابت قلبه ، وعقلها يستعيد ما فعلته أمس آلاف المرات ..
لقد قتلت المراكبي بمنتهى العنف ..

والخوف ..

قتلته لأنها خافت أن يبلغ الشرطة ..

خافت من السجن ..

والضياع ..

قتلته لأنها خشيت أن تفقد الكنز ..

حلم الثراء ..

والنفوذ ..

والقوة ..

ولقد ظلت تبكى وترتجف ، طوال طريق العودة ، دون أن
يحاول (صفوت) تهدئتها لحظة واحدة ..

وعندما وصلت منزلها ، فى الواحدة صباحاً ، كان أول ما فعلته
هو أن ابتلعت قرصين كاملين ، من علبه الأقراص المنومة ..

كان (عاصم) ما زال غارقاً فى نوم عميق ، فاندست إلى
جواره ، وحاولت أن تغرق فى النوم مثله ..



وهوت هى بالقائم المعدنى .. بكل قوتها .. و!! ..

ولكن حتى مع الأقراص المنوَّمة ، لم يكن الأمر سهلاً ..
لقد ظَلَّت ترتجف لساعة أخرى على الأقل ، قبل أن يأتى
القرصان مفعولهما ، وتنام .. ولم يكن نومها هادئاً ، بأى حال
من الأحوال ..

لقد عاودها المشهد فى أحلامها مائة مرة ..
بل ألف مرة ..

لقد راح عقلها يستعيده ..

ويستعيده ..

ويستعيده ..

بلا توقُّف ..

أو هوادة ..

أو رحمة ..

ولكنه الثمن ..

الثمن الذى عليها أن تدفعه ، حتى تظفر بالكنز ..

بالثروة ..

بالنفوذ ..

« متى سنقوم بالعملية ؟! »

ألقت السؤال ، بكل ما يملأ كيائها من توتر وانفعال ، فتراجع
ينظر إليها فى دهشة ، جعلتها تكرر ، بكل عصبية الدنيا :
- متى ؟!

تنهَّد فى عمق ، وتراجع أكثر ، مجيباً :

- الأعشاب ستصل فى الخامسة تقريباً ، ولو أن (صفوت)
مستعد ، ف ...

قاطعتَه فى لهفة :

- إنه مستعد .

سألها بدهشة :

- ولماذا أنت واثقة هكذا ؟!

هزَّت كتفِها فى عصبية ، قائلة :

- أنت تعرف (صفوت) .

حدَّق فى وجهها لحظة ، وكأنما لم يفتعه ما نطقه ، ثم لم
يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً :

- يمكننا أن نقوم بها الليلة ، كما اتفقنا من قبل .

اندفعت نحو الهاتف ، قائلة :

- عظيم .. سأبلغ (صفوت) .

ثم توقفت بغتة ، والتفتت إليه ، مستدركة في ارتباك :
- أعنى أنه عليك أن تبلغه ؛ ليعد أدوات الغوص لثلاثتنا على الأقل .

هتف بدهشة مستكرة :

- ثلاثتنا ؟! ماذا تعنين بقول ثلاثتنا هذا ؟!

أجابته بعصبية شديدة :

- أعنى أننى سأغوص معكما بالطبع ..

هتف في حدة :

- مستحيل ! لا يمكننى أن أسمح بهذا أبداً .

صاحت في ثورة :

- ومن المستحيل أن أضيع فرصة إلقاء نظرة كاملة على كنز كهذا .. إنه مشهد لا يراه المرء كل يوم .

حدق في وجهها لحظة ، ثم هز رأسه في قوة ، هاتفاً :

- مستحيل !

صرخت :

- سأغوص معكما ، مهما قلت أو فعلت .. إننى أجيد الغوص مثلكما ، وثلاثتنا نغوص معاً في البحر الأحمر ، منذ قضينا

شهر العسل هناك .. (صفوت) هو الذى علمنا أن نفعل .. أتذكر هذا .

هز رأسه ، قائلاً :

- المشكلة ليست فى إجادتك للغوص من عدمه .

هتفت :

- ما المشكلة إذن ؟!

خفت صوته ، وهو يجيب :

- لست أرغب فى تجشيمك المشقة .

صرخت :

- مشقة ؟! هل تعتبر رؤية كنوز (قارون) مشقة ؟!

زفر فى توتر ، وتطلع إليها لحظة ، ثم قال :

- لست أدري .. لست أشعر بالارتياح .

رقة صوته جعلتها تتقمص مرة أخرى طبيعة الأفعى ،

وتتمسح به فى نعومة ، قائلة :

- أرجوك يا (عاصم) .. سأندم ما تبقى لى من العمر ،

لو أضعت فرصة كهذه .

غمغم فى تخاذل :

- لن يكون هذا بالأمر السهل .. إننا سنحمل الكثير من الأدوات .. مصابيح الإضاءة ، والأعشاب ، والأجولة التي سنعبئها بالذهب والمجوهرات ، و ...

قاطعتَه في لهفة :

- عظيم .. في هذه الحالة تصبح ستة أياد أفضل من أربع ..

كان قولها منطقيًا ، وعلى الرغم من هذا فلم يشعر بالارتياح أبدًا ..

شئ ما في أعماقه جعله يشعر أن تلك الليلة تحمل لثلاثتهم موعدًا غامضًا ..

موعدًا مع القدر ..

مع الحياة ..

أو الموت ..

★ ★ ★

مطَّ ضابط المباحث شفتيه ، وهو يراقب رجال الإسعاف ، الذين يحملون جثة المراكبي (حمّادى) ، وغمغم :

- أراهن أنها جريمة ثأر أخرى .

سأله رئيسه في هدوء :

- ولماذا تصوّرت أنها جريمة ثأر ؟!

هزَّ الضابط كتفيه ، وقال :

- إنها ليست جريمة سرقة بالتأكيد ، فحافضة نقوده في جيبه ، بكل ما تحويه ، وهو يرتدى ساعته أيضًا .

قال رئيسه :

- وهويته تقول : إنه مراكبى بسيط من (الفيوم) ، وهذا يستبعد احتمالات الثأر أيضًا .

اتعقد حاجبا الضابط ، وهو يقول :

- ولكنه ليس حادث سيارة بالتأكيد ، فلقد تهشّم رأسه بجسم صلب ، وبضربة واحدة تقريبًا .

وافقه رئيسه بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- إنها جريمة قتل ، ما من شك في هذا ، ولكن من الواضح أنها سترهقنا كثيرًا ، في البحث عن أسبابها ومبرراتها ، والمشتبه فيهم بارتكابها ، فهناك جزء غامض للغاية في الأمر ، وهو لماذا جاء الرجل إلى بقعة كهذه ، ليلقى حتفه فيها ، ما دامت ليست حادثة سيارة ، أو جريمة سرقة ؟!

غمغم ضابط المباحث :

- هذا ما علينا أن نبحث عنه .

ثم زفر فى توتر ، قبل أن يضيف :

- المشكلة أنه فى بعض الأحيان تكون الجريمة واضحة ، ولكنك تفشل تمامًا فى العثور على دليل واحد ، يساعد فى كشف الجناة ، وأكثر ما يحنقنى فى هذا أنهم يفلتون من العدالة فى النهاية .

هز رئيسه رأسه ، وقال :

- مطلقًا .. ربما يفلتون من القانون ، ولكن ليس من العدالة ..

سأله فى حيرة :

- وما الفارق ؟!

أجابه فى حزم :

- فارق ضخم للغاية .

ثم تنهَّد ، وشرد بصره ، قبل أن يضيف :

- فالعقاب الدنيوى ، الذى يعتمد على القانون ونصوصه ، والعثور على الأدلة والبراهين ، أمر قاصر للغاية ، وكثيرًا ما يصيبنا بالإحباط والغيب ، عندما نتيقن من الجانى ، ثم لا نمتلك دليلًا لإدانتته ، أما العدالة ، فهى أمر يحفظه الخالق (عز وجل) ، ونتيجته لا يمكن أن يفلت منها أحد ، فمن يعمل مثقال ذرة

خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره (*) .. واللَّهُ (سبحانه وتعالى) منتقم جبار ، وهو أعدل العادلين ، وله تصاريفه الخاصة ، التى تجعلنا نؤمن دومًا بأن الجانى لابد أن يلقي جزاءه .. حتى ولو لم ندرك هذا أو نره .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى خشوع :

- وهذه هى العدالة .

نطقها ، فران عليهما صمت مهيب ..

صمت يحمل كل دلائل الإيمان بالعدالة ..

الحقة ..

★ ★ ★

« أنتما مستعدان ؟! »

نطق (صفوت) العبارة فى همس ، داخل ذلك الزورق المطاطى الكبير ، الذى نقل ثلاثتهم إلى قلب بحيرة (قارون) ، وسط ظلام الليل ، فتمتم (عاصم) فى عصبية :

(*) القرآن الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره * . الآيتان ٧ و ٨ من (سورة الزلزلة) .



- أنا مستعد .

وهتفت (دينا) فى لهفة :

- وأنا كذلك .

كان ثلاثتهم يشعرون بتوتر بالغ ، بعد تلك المغامرة ، التى حملتهم فى قلب الليل إلى (الفيوم) ، وجعلتهم يتسللون بزورقهم المطاطى إلى الموقع ، الذى يحفظه (صفوت) عن ظهر قلب ، فى قلب البحيرة ..

ولكن توترهم هذا كان مشوباً بلهفة حقيقية ..

لهفة لبلوغ ذلك الشق ، ورؤية الكنز ..

كنز (قارون) ..

وفى حزم ، قال (صفوت) :

- الماء بارد ، ولكن ثياب الغوص المطاطية ستحمى أجسادنا ، وتخفيها أيضاً فى ظلام الليل .. والمصابيح لن نشعلها إلا على عمق أربعة أمتار ، حتى لا تكشف وجودنا .. احرصا على أن تتبععتنى طوال الوقت ، فأنا وحدى أعرف الطريق إلى الشق .

انعقد حاجبا (عاصم) دون أن يجيب ، فى حين لهتت (دينا) من فرط الانفعال ، وهى تقول :

- بالطبع .. بالطبع .

وضع منظار الغوص على عينيه ، وهو يتابع أوامره :

- كل منا سيحمل مصباحه .. أنا سأحمل الأجولة الفارغة فى طريق الذهاب ، و (عاصم) سيحمل حقيبة الأعشاب ، وفى طريق العودة سيحمل كل منا جوالاً .

ثم ابتسم ، مكماً :

- من الذهب والمجوهرات .

ازداد انعقاد حاجبى (عاصم) ، فى حين برقت عينا (دينا) ، وهى تهتف فى حماس :

- نعم .. نعم ..

ابتسم (صفوت) فى ثقة ، ثم وضع منظم أسطوانة
الأكسجين فى فمه ، وأشار بيده ، قائلاً :
- هيا .

وخلال نصف دقيقة فحسب ، كان ثلاثتهم فى قلب البحيرة .
بحيرة (قارون) .

كان التوتير يشمل كل خلية فى أجسادهم ، وهم يغوصون ..
ويغوصون ..

ويغوصون ..

وعند عمق أربعة أمتار تقريباً ، أشعل كل منهم مصباحه ..

كان المشهد يبدو رهيباً للغاية ، مع عكارة القاع ، وظلام
الليل ، حتى إن (دينا) قد تساءلت فى حيرة : كيف يعرف
(صفوت) طريقه ، وسط هذه المياه ؟!

إنها ، وعلى الرغم من ضوء المصباح ، لاتكاد ترى
ما أمامها .

ولكنهم يغوصون أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى بدا القاع ..

كان طينياً ، صخرياً ، ومعكراً إلى حد كبير ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الشق ..

كان الطين فى القاع قد غمر جزءاً منه ، على نحو جعل
قلبها يخفق فى قوة ، مع خوفها من أن ينطمر الشق تماماً مع
الوقت ، فلا يمكنهم العثور عليه ، فى الرحلة التالية ..
(صفوت) يقول : إنهم يحتاجون إلى عشر رحلات على الأقل ،
حتى يمكنهم نقل الكنز كله ..

عشر رحلات !

يا لها من ثروة طائلة !!

دفعها الحماس إلى عبور الشق ، خلف (صفوت)
و (عاصم) ، على الرغم من المشهد الرهيب ، الذى تصنعه
أضواء المصابيح ، مع الظلام والعكارة ..

وعندما بدءوا فى عبور الشق الأفقى ، راح حماسها
يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

ثم خفق قلبها فى عنف ، مع بلوغهم نهايته ، حيث تلك
الفجوة ، والبحيرة الداخلية ..

فى البداية سعد (صفوت) ..

ثم لحق به (عاصم) ..

وجاءت هى فى النهاية ..

ومع كل متر تقطعه ، كان قلبها يخفق بعنف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم وجدت نفسها فجأة ، فوق سطح الماء ، و (صفوت)
يهتف ، بكل لهفة وطمع وجشع وانفعال الدنيا :

- هل تريان ؟! ها هو ذا الكنز ..

وبكل لهفتها ، أدارت ضوء المصباح ..

وتألفت الأضواء ..

وأضيت الفجوة كلها بذلك البريق ..

بريق الذهب ..

وعندئذ ، كاد قلبها يتوقف من فرط الانبهار ، وهى تحدق فى
أطنان الذهب والتحف والمجوهرات ..

الآن فقط أدركت شعور (على بابا) ، فى القصة الشعبية
الشهير ، عندما دخل مغارة الأربعين لصًا ، ووجد أمامه كل
هذا القدر من المجوهرات والذهب ..

ولكنه حتمًا ، لم ير ربع ما تراه أمامها الآن ..

إنه كنز هائل ، لا مثيل له ، حتى فى أكثر الروايات
والأساطير إغراقًا فى الخيال ..

كنز لن تكفى تلك الرحلات العشر لنقل نصفه ، مهما أمكنهم
حملة ..

وبكل دهشة الدنيا ، هتف (عاصم) :

- رباه ! إذن فالكنز حقيقى !!

أطلق (صفوت) ضحكة عالية ، تموج بالانفعال ، وهو
يهتف :

- قل لى يا رجل .. ما الذى تراه أمامك بالضبط ؟! حقيقة
أم خيال ؟!

هتفت (دينا) بلهفة رهيبة :

- بل حقيقة .. حقيقة ..

قالتها ، ثم انفجرت هاتفة فى انفعال جارف ، فتنهد (عاصم) ،
وغمغم :

- هل كان منسوب المياه مرتفعاً هكذا ، عندما جنت أول مرة ؟!

هزّ (صفوت) رأسه ، قائلاً فى قلق :

- كلا .. لم يكن كذلك .

أجاب (عاصم) فى حزم :

- من الواضح إذن أن المياه ستغمر هذا الكهف ، بعد عدة أيام على الأكثر ..

هتفت (دينا) فى ارتياح :

- هل تعنى أننا لن نتمكن من نقل الذهب كله ؟!

أجاب فى توتر :

- المياه لا تفسد الذهب أو المجوهرات .. ثم إن ما ننقله منها خلال أسبوع واحد ، سيكفيّننا للحياة فى رغد ونعيم ، حتى آخر أيام حياتنا .

قالت بجشع عجيب :

- لا .. لن نترك قطعة واحدة منه .. أريده كله .. كله ..

حدّق فيها بدهشة ، وكأنما يراها لأول مرة ، وشعر وكأنها امرأة مختلفة تماماً ، عن تلك التى أحبها وتزوجها ، ولكنه حاول أن يتجاهل هذا ، وهو يغادر فجوة الماء ، قائلاً :

- هل ستظهر الأفاعى الآن ؟!

أجابه (صفوت) بقلق شديد :

- هذا ما يحدث دائماً .

توقّف (عاصم) على الجزء الجاف ، قائلاً :

- لست أرى أيها هنا ..

غمغم (صفوت) ، وهو يتلفت حوله فى توتر :

- لا تتعجل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع فجأة رأس أفعى كبيرة ، من بين قطع الذهب والمجوهرات ..

ثم تلتها ثانية ..

وثالثة ..

وعاشرة ..

وعشرات ..

من كل مكان برزت أفاعى (الكوبرا) ..

منات منها ارتفعت رعوسها ، تألّقت عيونها ، تحت أضواء المصابيح وبريق الذهب ..

وشهقت (دينا) فى هلع ، وهى تهتف :

- ربّاه ! ربّاه !

وارتجف جسد (صفوت) كله ..

أما (عاصم) ، فقد بدا أكثرهم هدوءًا وتماسكًا ، وهو يفتح حقيبة الأعشاب ، قائلاً :

- يا للعجب ! إنها أفعى (ناجا هاجى) بالفعل .. فى عدة أطوار منها .. لا يوجد مبرر علمى واحد لوجودها على قيد الحياة ، طوال كل هذه السنين .

غمغم (صفوت) فى عصبية :

- إنها لعنة الفراعنة .

هزّ (عاصم) رأسه ، وهو يراقب فى حذر تلك الأفاعى ، التى اتجهت كلها نحوه ، مغمغماً :

- هذا ليس مبررًا علميًا .

اتسعت عينا (دينا) فى ارتياح ، عندما شاهدت تلك الأفاعى ، وهى تنقضّ كلها على (عاصم) ، وانطلقت من حلقها صرخة رعب مدوية ، جلجلت وسط فراغ الكهف ، على نحو ضاعف من رهبتها وعنفها ..

ولكن (عاصم) فتح الحقيبة فى سرعة ، وهو يهتف :

- فلنر الآن ما إذا كانت أبحاثك صحيحة أم لا يا دكتور (محسن) .

وبكل قوته ، ألقى محتوياتها نحو الأفاعى .

ولثوان ، تجمّدت كل أفاعى (الكوبرا) ..

وتجمّدت معها دماء (صفوت) و (دينا) ..

ثم راحت الأفاعى تتراجع فى ببطء ..

وتتراجع ..

وتتراجع ..

وفى حماس ، التقط (عاصم) كومة من العشب ، ودفعها إلى الأمام أكثر ..

وتراجعت الأفاعى أكثر وأكثر ..

وفى حماس ، هتف (صفوت) وهو يصعد إلى اليابسة :

- إنها تتراجع .. لقد نجحنا .. لقد نجحنا ..

لحقت به (دينا) ، وهى تلهث فى عنف وقوة ، من فرط الانفعال ، غير مصدّقة أنهم قد تجاوزوا تلك العقبة ..

وأن الكنز قد أصبح فى قبضتهم ..

لم تصدّق ، حتى التقط (عاصم) قطعة كبيرة من الذهب ، مغمغماً :

- آه .. إنه ذهب حقيقى بالفعل ..

عندئذ فقط صرخت ، بكل فرحة وسعادة وظفر الدنيا ،
واندفعت بكياتها كله نحو أطنان الذهب والمجوهرات ، وراحت
تلتقط الحلى والماسات بلهفة بلا حدود ، وهى تصرخ :

- لقد نجحنا .. نجحنا .. الكنز كله صار لنا .. كنز (قارون)
كله .. كل هذا الذهب والمجوهرات ملكنا .

ثم التفتت إلى (صفوت) ، مواصلة بنفس الانفعال الجنونى :

- إنه يستحق يا (صفوت) .. يستحق كل ما فعلناه ..

اتسعت عينا (صفوت) فى ارتياح ، ولكنها واصلت صارخة
وضاحكة فى عنف :

- يستحق حتى قتلنا لذلك المراكبى الغبى الـ ...

لم تكد الصرخة تتجاوز شفيتها ، حتى انتهت فجأة إلى
ما فعلته ، فاستدارت تحدق فى زوجها بذعر هائل ..

ذعر لم ينافسه سوى ذلك الذعر الرهيب ، المظن من عيني
(عاصم) وملامحه ..

فلقد صدمته عبارتها الأخيرة ..

صدمته إلى حد لا يمكن تصوّره ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

٦ - العدالة ..

هوى قلب (صفوت) بين قدميه ، وهو يحدق فى وجه
(عاصم) ، الذى بدا مصدوماً مصعوقاً ، على نحو جعل (دينا)
تتراجع فى ارتياح ، قائلة :

- لم تكن نرغب فى هذا يا (عاصم) ، ولكننا اضطررنا ..

هتف بكل غضب ومقت واستنكار الدنيا :

- اضطررتما ؟! أنت ومن ؟! وهذا الحقير ؟!

قال (صفوت) فى عصبية :

- (عاصم) .. إبنى ..

قاطعته فى ثورة :

- اخرس .

ثم احتقن وجهه بشدة ، وهو يهتف فى مرارة :

- أنتما ؟! أنتما معاً ؟! أتخدعانى إلى هذا الحد ؟! تخونانى

معاً ؟! زوجتى ، وأقدم صديق لى ؟! أنتما ؟!

صاحت (دينا) مذعورة :

- لا يا (عاصم) .. أنا لم أخنك قط .. (صفوت) لم يمس

شعرة واحدة منى ..

صرخ بكل غضبه :

- ولكنك شاركته جريمة قتل .. أرقّت معه الدم ، دون أن أعلم أو أدري ..

قالت فى ضراعة :

- صدقتى يا (عاصم) .. لم أكن أرغب فى عمل هذا قط .

صرخ :

- ولكنك فعلته .

ارتجف (صفوت) ، وهو يقول :

- (عاصم) .. حاول أن تفهمنا .. (مجدى) والمراكبى هدا بكشف السر ، وأرادا منعنا من الفوز بالكنز .. ذلك الكنز الهائل ، الذى تراه أمامك .. ولم يكن باستطاعتنا أن نسمح لهما ، ولكن قتلهما لم يكن وارداً ، و ...

قاطعه بصرخة مذعورة :

- قتلهما ؟! أتعنى أنكما أرقتما الدم مرتين ..

صاحت (دينا) :

- من أجل الكنز يا (عاصم) .. من أجل الثراء والنفوذ والقوة .. من أجل المستقبل .

صرخ :

- أى مستقبل ؟! المستقبل المغموس فى الدم والقتل والجريمة ؟! هل تصوّرتما أن الثروة الطائلة ستغسل ضميركما ، وتغفر ذنوبكما ؟! هراء .. كل ما تريانه أمامكما ، وما ارتكبتما من أجله كل هذا ، لم يكف لإيقاظ (قارون) نفسه ، عندما خسف به الله (سبحانه وتعالى) الأرض .. لم يعفه من جحيم أبدى ، يأتى الفاسق حتماً ، طال عمره أم قصر ..

انتفض جسد (صفوت) كله ، وهو يقول فى عصبية :

- هذه الفلسفة لن تفيد الآن يا (عاصم) .. الوقت يمضى فى سرعة .. دعنا ننقل الذهب أولاً ، ثم ..

قاطعه صيحة (عاصم) الهادرة :

- كلا .

اتسعت عينا (دينا) فى ارتياح ، وهى تقول :

- كلا ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابها فى حدة ، وهو يلوح بذراعه فى قوة :

- أعنى أنه لن يكون هناك ذهب .. لن ننقل قطعة واحدة من هنا .

صرخ (صفوت) :

- هل جننت !؟

أجابه (عاصم) ، بصرخة مماثلة :

- بل عدت إلى صوابي .. عاد إلى عقلي وضميري .

ورمى زوجته بنظرة قاسية ثائرة ، وهو يتابع :

- كان ينبغي أن أدرك منذ البداية أن الثراء غير الشرعى لا يمكن أن يفيد .. ولا يمكن أبداً أن يحفر طريق الخير .. الثراء غير المشروع خدعة من عمل الشيطان .. خدعة تدفع البشر ، من ضعاف النفوس إلى الخديعة والغش ، والسرقه .. والقتل أيضاً .

ارتجفت (دينا) بشدة ، وهى تقول فى ارتياح :

- (عاصم) .. لا تقل لى إنك ستتخلى عنا الآن .

صرخ :

- بل سأقولها .. سأقولها ألف مرة .. إبنى لن أتخلى عنكم فحسب ، ولكننى سأخرج من هنا مباشرة إلى أقرب قسم للشرطة .

صرخت متراجعة فى رعب ، فى حين هتف (صفوت) :

- لقد جننت .. من المؤكد أنك قد جننت .

تابع (عاصم) فى صرامة ، وهو يضع منظار الغوص على عينيه ، ويتجه فى حزم إلى البحيرة الداخلية :

- سأخبرهم بكل ما حدث .. بالكنز ، والقتل ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، اندفع (صفوت) نحوه كالمجنون ، وتعلق بعنقه ، صارخاً :

- لا .. لن أسمح لجنونك بنسف أحلامنا كلها .. لا ..

تشبث به (عاصم) ، وهو يصرخ :

- اتركنى .. اتركنى أيها الحقير .. لن أسمح لكما بالإفلات بكل هذا أبداً .. أبداً .

اشتبكاً معاً فى قتال عنيف ، أمام عيني (دينا) ، اللتين اتسعتا فى ارتياح شديد ، وهى تطلق الصرخات المتتابعة المذعورة ..

لم تكن تتصور أبداً أن يبلغ الأمر هذا الحد ..

إنها تشعر بالقلق تجاه زوجها وضميره اليقظ منذ البداية ..

ولكنها لم تتصور أبداً أن يتخلى عنها ، فى موقف كهذا ..

أو أن يصر على إضاعة فرصة كهذه ..

فرصة لا تتكرر فى الجيل الواحد أبداً ..

بل ربما فى التاريخ كله ..

سيضيعها بحماقته وتسرعه ، وغبائه ..

سيضيع إلى الأبد فرصة الثراء ..

والنفوذ ..

والقوة ..

ليس هذا فحسب ، وإنما سيلقى بها وشريك عمره فى السجن أيضًا ..

قفز ذلك الخاطر إلى ذهنها ، فى نفس اللحظة التى تغلب فيها (عاصم) على (صفوت) ، وأمسك معصمه بقوة ، صارخًا :

- سأرحل من هنا يا (صفوت) .. سأرحل دون أن يمكنكما منى .. لن أسمح باستمرار هذا أبدًا .

صرخ (صفوت) ، وهو يقاتل فى استماتة :

- أيها المجنون .. إنك ستفسد كل شيء .. كل شيء .

صاح (عاصم) :

- ولكننى سأنقذ نفسى ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، هوت تلك الضربة على مؤخرة رأسه ..

ضربة قوية عنيفة ، ارتج معها كيانه كله ، فاستدار يحدق

فى صاحبته ، بكل ذعر ، ودهشة ، واستنكار الدنيا ..

وللحظة واحدة ، التقت عيناه بعينى (دينا) ..

زوجته ..

وفى تلك اللحظة ، أدرك أنها امرأة أخرى ..

امرأة لم يعرفها من قبل قط ..

امرأة شريرة .. قاسية .. جشعة ..

وفى اللحظة التالية ، كانت هى تهوى على رأسه بضربة

أكثر عنفًا ، بسبيكة الذهب التى تحملها ..

ثم بأخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

كانت تصرخ بهستيريا عجيبة ، وهى تضرب ..

وتضرب ..

وتضرب ..

« كفى يا (دينا) .. كفى .. »

صرخ (صفوت) ، وهو يندفع نحوها ، ويمسك معصمها

فى قوة ، متابعًا :

- لقد حطمت رأسه تمامًا .

اتسعت عيناها بارتياح مذعور ، وهى تحدق فى جثة زوجها
(عاصم) ، الذى سقط عند حافة البحيرة الداخلية ، وسط بركة
من الدم ، تفجرت من رأسه المحطم ، ثم نقلت بصرها إلى
سبيكة الذهب الملوثة بالدم فى يدها ، قبل أن تصرخ :

- لا .. لا .. لا ..

ضمها (صفوت) إليه فى قوة ، هاتفاً :

- اهدنى .. اهدنى .. كان هذا حتمياً .. إما هو أو نحن ..
لو أنه خرج من هنا حياً لأفسد الأمر كله .

صرخت كالمجنونة :

- لقد قتلته .. قتل زوجى .. قتل (عاصم) .

هزها فى عنف ، صائحا :

- كل هذا من أجل الكنز .. لا تنسى .. من أجل الثروة
الطائلة .. كل هذا من أجل كنز (قارون) .

ظلت ترتجف بين ذراعيه لعشر دقائق على الأقل ، والدموع
تتفجر من عينيها بمنتهى العنف ، حتى قال هو فى صرامة :

- دعينا لا نضيع المزيد من الوقت .. الشمس ستشرق خلال
أربع ساعات فحسب ، وينبغى أن نكون فى الطريق عندما
تفعل .

أومات برأسها مستسلمة ، وهى تمسح دموعها ، وتناولت
الجوال الذى قدمه لها ، وراحت تملؤه بالذهب ، وهى تتحاشى
النظر إلى جثة زوجها ، وتبذل كل جهدها لطردها ما حدث من
ذهنها ..

وراح الجوال يمتلئ بالذهب والمجوهرات ..

ويمتلئ ..

ويمتلئ ..

وفى محاولة لطرده الموقف من رأسها ، سألت فى عصبية :

- هل تعتقد أنه بإمكاننا بيع كل هذا ؟! أعنى أنها تحف أثرية .

قال فى شراسة :

- تحف أو غير تحف .. الذهب هو الذهب .. إتينا لا نريد أن
تطاردنا الشرطة ، بتهمة تهريبه أو بيع الآثار .. سنذيب كل
هذا ، ونصنع منه سبائك من الذهب فحسب .

ثم التقط نفساً عميقاً ، وهتف :

- ولو أردت رأيى ، فما حملناه حتى الآن يتجاوز الثلاثة
ملايين كذهب خام فقط .

قالها ، وانطلقت من حلقه ضحكة ظافرة مدوية ..

ضحكة خيل إليها أنها تتردد في المكان بعنف ، حتى لتهتز
جدرانه أيضا ، و ...
ولكن مهلاً ..

الجدران تهتز بالفعل ..
وبقوة ..

وبكل الذعر ، هتف (صفوت) :

- رباه ! إنه زلزال آخر .. أو تابع من توابع الزلزال الأول ..
أسرعى يا (دينا) .. أسرعى .

وضع كل منهما منظار الغوص على عينيه ، وثبت منظم
الأكسجين في فمه ، ثم حملا جوالى الذهب ، ووثبا في البحيرة
الداخلية ، وراحا يغوصان في الفجوة الكبيرة ، حتى بلغا ذلك
الشق الأفقى ، وضوء مصباحيهما يشق الطريق ، والمياه تزداد
عكارة في شدة ، والجدران ترتج بعنف أكبر ..
وأكبر ..

وأكبر ..

وبكل قوتيهما وذعرهما ، راحا يسبحان ..

ويسبحان ..

ويسبحان ..

وعندما سلطا ضوء المصباحين على مخرج الشق ، كادت
(دينا) تطلق صرخة رهيبة ، تحمل رعباً لم يشعر به مخلوق
حتى من قبل ..

فقد كان جانب الشق يقتربان من بعضهما ، مع الارتجاجات
القوية ..

(صفوت) أيضاً رأى ذلك المشهد الرهيب ، فدفع جسده إلى
الأمام بسرعة أكبر ..
وأكبر ..

ولكن جانب الشق اقتربا بسرعة ..

والذهب الثقيل كان يمنعهما من الانطلاق ..

لذا ، ففي لحظة واحدة ، ودون اتفاق مسبق ، تخلص كل
منهما عن جوال الذهب ، وتركوا الجوالين يهويان داخل النفق ،
وهما يسبحان بكل قوتيهما نحو الشق الخارجى ..

ثم ارتج المكان بعنف أكبر بقلّة ..

وتعكرت المياه بشدة ..

وانعدمت الرؤية تماماً ..

ولكنهما سبحا أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

و ...

وفجأة ارتطما بجدار صخرى سميك خشن ..

وعادت الرؤية تتضح ..

وفى لحظة واحدة ، أدرك كلاهما ما حدث ..

وانهار قلب (صفوت) فى أعماقه ..

أما (دينا) ، فقد تركت منظم الأكسجين يسقط من بين
شفتيها ، وهى تصرخ ، وتصرخ ، وتصرخ ، بكل رعب وهلع
وارتياع وفزع الدنيا ، تحت الماء ..

لقد التقى جانبا الشق ..

وأغلق المكان عليهما تماماً .. وإلى الأبد ..

مع الأفاعى ..

والكنز ، الذى سفكا من أجله الكثير من الدم ..

كنز (قارون) .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

بقية من القصص
والروايات المصرية
تمة في التشويق والإثارة

روايات مصرية للجيب

كوكبيل
٢٠٠٠

في هذا الكتاب

صفحة

قطرة حب (قصة قصيرة) ٥

دليل (قصة قصيرة) ٢٤

رجل العدالة :

نجمة الصباح (قصة كاملة) ٣٩

المرأة مشكلة .. صنعها الرجل (دراسة) ٧٨

حريتي (خواطر) ٨٨

مذكرات طبيب - في صعيد مصر الجواني

الحلقة الثالثة ٩٤

بشرة بيضاء (قصة قصيرة) ١١٧

قصة العدد :

(قارون)

١٣١

عزيزى القارئ (١) ٢٥٥

عزيزى القارئ (٢) ٢٨٠

مطابع
سلام القليل

التمن في مصر ٢٠٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
في سائر الدول العربية والعالم

